جـــامعـــة مـحـمـد خـيـضـر – بـــسـكـرة –

كـلـيـة الآداب واللـــغـات

قـسـم الآداب واللـــغـة الـعـربـية

مـذكـرة المـاسـتـر

الآداب واللغة العربية

دراسات لغوية

لسانيات عربية

اعداد الطالبتين:

هلال شروق

بن خليفة مريم

يوم:2025/06/03

الاستلزام التخاطبي في رواية السادة الأنذال للسعيد بوطاجين

لجنة المناقشة:

باديس لهويمل	"أ،د "	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيساً
حسينة يخلف	" أ مح/ب "	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشاً
ليلى كادة	"أ،د "	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفاً

السنة الجامعية: 2024/2025

مقدمة

شهدت الدراسات اللسانية المعاصرة تحولاً جذرياً ببروز التداولية كمنظور يتجاوز النظرة التقليدية للغة ، التي كانت تقتصر على دراسة البنى الصوتية والتركيبية والدلالية إلى دراسة الفعل اللغوي في سياقه التواصلي .إذ أصبحت اللغة تفهم بوصفها نشاطاً تفاعلياً تتدخل فيه المقاصد والنوايا والمعاني الظاهرة والمضمرة ،وهو ما مهد لظهور مفاهيم جديدة من أبرزها " **الاستلزام التخاطبي** " الذي اقترحه الفيلسوف "**بول غرايس**"، استلزاماً يفرض على المتكلمين أن يتعاونوا ضمنياً أثناء تفاعلاتهم التخاطبية ملتزمين بجملة من المبادئ التي تنظم عملية التبليغ والإدراك ،غير أن الخروج عن إحدى هذه المبادئ لا يعني فشلاً في التواصل بل مؤشراً على وجود معنى ضمني يتجاوز ما يقال حرفياً إلى ما يقصد به فعلياً ،وهوما يمنح الخطاب بعداً تأويلياً أعمق.

حيث تتجلى أهمية هذا المفهوم في قدرته على تفكيك البنى الدلالية الكامنة وراء القول الظاهر، إذ يعد الاستلزام التخاطبي أداة تتيح فهم الرسائل المشفرة داخل السياق الذي وردت فيه، مما يفتح آفاقاً تأويلية عميقة، وفي هذا الإطار يجد هذا الطرح صداه بوضوح في الخطابات الأدبية، ولاسيما السردية منها .

مما يجعل دراستنا تندرج ضمن مقاربة تداولية لخطاب روائي، وهو رواية السادة الأنذال للسعيد بوطاجين، التي تشكل أنموذجا سردياً غنياً بالدلالات الأخلاقية والثقافية

الكامنة في بنى تواصلية تعتمد على التلميح والإيحاء. فالنص هنا لا يكتفي برصد الواقع بل يسخر منه من خلال خرق نظام الخطاب، ما يكسبه بعداً دلاليا. يحفز القارئ على التأويل .وعليه جاء عنوان بحثنا على النحو الآتي: **الاستلزام التخاطبي في رواية السادة الأنذال للسعيد بوطاجين.**

وتشكل الوعي بجمالية هذا الموضوع وقيمته العلمية بصورة تدرجية لم يكن نتاج انفعال عابر، بل نتيجة تراكم معرفي أفضى إلى رغبة بحثية راسخة عززتها مجموعة من العوامل الموضوعية من أبرزها الطابع الكثيف الذي يميز المادة المدروسة ،مانحاً إياها بعداً لغوياً وجمالياً خاصاً ،غير مقتصر على التفاعل السطحي بين المتخاطبين، بل يتعداه إلى ما يفعل آليات التأويل التداولي بما يتجاوز القوة الإنجازية الحرفية للملفوظ إلى قوة إنجازية مستلزمة وفق ما تقرره نظرية غرايس. ومن جهة أخرى انبثق الدافع الذاتي من الأثر العميق الذي تركته أستاذتنا المشرفة في مسارنا العملي، حيث أسهمت إرشاداتها الدقيقة وملاحظاتها الثاقبة في إثراء رؤيتنا المعرفية وتحفيزنا على الغوص في أعماق الخطاب الروائي واستكشاف أبعاده التأويلية من زاوية لسانية تداولية.

بناء على هذه الدوافع، تم توجيه الاهتمام صوب هذا الموضوع تلبية لحاجة بحثية ملحة فرضتها الإشكالات المطروحة على النحو الآتي:

- ما مدى توظيف السعيد بوطاجين لآليات الاستلزام التخاطبي كأداة تخفي معانٍ ضمنية؟ إشكالية أم تفرعت عنها تساؤلات رئيسة لعل أهمها:

- ماهية الاستلزام التخاطبي وقوانين المحادثة عند بول غرايس.

- ما أهم آليات الاستلزام التخاطبي التي ركن إليها السعيد بوطاجين في سرده الروائي.

استجابة للإشكالات السابقة وبشكل منهجي ومتسلسل تم تبني الهيكل التنظيمي الآتي:

مقدمة

الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي عند" بول غرايس"

الفصل الثاني: آليات الاستلزام في رواية السادة الأنذال.

خاتمة.

مقدمة تلاها فصلان، فأما الفصل الأول فقسمناه إلى مبحثين، خصص الأول لـ: ماهية الاستلزام التخاطبي، أما الثاني فكان لقوانين المحادثة عند بول غرايس.

وأما الفصل الثاني فقد ضم مبحثين، أفرد الأول منهما لـ: السعيد بوطاجين والسادة الأنذال سيرة مؤلِف وماهية المؤلَف، أما الثاني فكان بعنوان: الخروج عن قوانين الخطاب في رواية السادة الأنذال.

وذيل البحث بخاتمة سعت إلى رصد أهم نتائجه.

وقد اتكئ هذا البحث في بناءه على عدد من المصادر والمراجع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، لطه عبد الرحمن.

- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، لعبد الهادي بن ظافر الشهري.

- نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، لصلاح إسماعيل.

- المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية .ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، لـ: ليلى كادة.

ويشار إلى أن البحث يستند أساساً على المنهج التداولي لما يتمتع به من قدرة منهجية على تحليل الخطابات ضمن بنيته السياقية والتفاعلية، كما يسهم في الكشف عن الوظائف التواصلية والدلالية للغة في سياقات استعمالها.

أما الصعوبات التي واجهتنا فيمكن حصرها في:

- حداثة صدور الرواية مما صعب الحصول عليها.

- خصوصية أسلوب الكاتب السعيد بوطاجين الذي يتسم بالغموض والتعقيد السردي، ما استوجب منا تبني قراءة تحليلية معمقة ودقيقة لفك شفرات الخطاب وتأويله دلالياً.

ختاماً، نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأستاذتنا الفاضلة الدكتورة: ليلى كادة، التي لم تكن أستاذة مشرفة فحسب، بل كانت ملهمة وموجهة لنا، تمزج بين الحزم والصرامة واللين، بذلت من وقتها وجهدها الكثير، فكانت لإشرافها الرصين وحضورها الداعم ولمساتها التوجيهية بالغ الأثر في توجيه مسار هذا البحث. فجزاها الله عنا خير جزاء.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى، ويسدد خطانا في هذا البحث ويجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم.

الفصل الأول:

الاستلزام التخاطبي عند "بول غرايس"

توطئة:

يوجه النظر إلى اللغة بوصفها آداة للتعبير عن الأفكار، ووسيلة لإثارة المشاعر في السلوك الإنساني ومدخلاً أساسياً لفهم طبيعتها التفاعلية والاجتماعية، فاللغة ليست مجرد منظومة من الرموز المجردة، بل هي فعل إنساني يستهدف تحقيق التواصل بين الأفراد أثناء العملية التخاطبية، إذ يتم بواسطتها تبادل الرسائل والمعاني في سياقات متنوعة. ومن هذا المنطلق تبرز خاصية التواصل باعتبارها خاصية جوهرية بها تتميز اللغة عن غيرها من الرموز. إذ تفرض وجود طرفين في العملية التخاطبية أحدهما مرسل يتبنى مقاصد معينة، ومتلقٍ يسعى إلى تأويل تلك المقاصد وفهمها، وقد أفرد علماء اللغة اهتماماً كبيراً لدراسة كيفية استخدام اللغة في تنسيق الأدوار وإدارة العلاقات الاجتماعية ضمن سياقات المحادثة المختلفة، إذ تعتبر اللغة الركيزة الأساسية للعديد من المعاملات اليومية لتسهيل التواصل والتفاعل بين الأفراد، فاللغة تتجاوز كونها مجرد نقل للمعلومات، بل تسهم أيضا في بناء الفهم المشترك بين أطراف الخطاب المختلفة.

واستنادا إلى هذا الإهتمام العميق باللغة تمكن الفيلسوف "**بول غرايس Paul Grice** " من تطوير نظريته المعروفة بـ: " **نظرية الاستلزام التخاطبي – أو الحواري –**" تركز هذه

النظرية على ضرورة فهم السياقات والظروف التي يتم فيها إنتاج الخطاب، حيث أن المعنى الكامل لا يستنبط فقط من الكلمات الحرفية، بل من السياق الذي يتم فيه التفاعل، سيتناول هذا الفصل المقومات الأساسية لهذه النظرية والمبادئ المكملة له.

المبحث الأول: ماهية الاستلزام التخاطبي.

أولا: الاستلزام التخاطبي في العرفين اللغوي الاصطلاحي

1. لغة: إن الباحث في المعجمات اللغوية تستوقفه العديد من المعاني التي تسبح في فلك الجذر اللغوي (ل- ز- م)، إذ لا تخرج في معناها على كونها ذلك الإرتباط الضروري الواقع بين أمرين إثنين، إذ لا يمكن لأحدهما الإستغناء عن الآخر، أو بمعنى أقرب لا يمكن حدوث أمر دون الآخر.

فعند قولنا: استلزم الأمر أمرا، نستنتج من ذلك أنه اقتضاه واحتاجه، فقد جاء في معجم الصحاح للجوهري (ت 398 هـ):« لزمت الشيء ألزمه لزوما، ولزمت به ولازمته، واللزام: الملازم» .[1]

وعلى نهجه جاء في لسان العرب لابن منظور (ت711 هـ):« لزم الشئ لزمه لزما ولزاما، ورجل لزمة، بمعنى يلزم الشيء ولا يفارق» .[2]

---

[1]- تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري مادة(لزم)، دار الحديث، القاهرة (بلا، ط)، 1430، 2009 م، ص 1034.

[2]- لسان العرب، ابن منظور، تح . عبد الله علي الكبير وآخرون، مادة(لزم)، دار المعارف: كورنيش النيل، القاهرة (بلا، ط)، 1119،ص 4027.

وورد عن الزبيدي (ت 1205هـ):« هو لزمة أي لزم شيئا لا يفارقه».[1]

حاصل النظر فيما تم ذكره؛ فإن الجذر اللغوي (ل، ز، م) لا يكاد يخرج عن مفهوم الملازمة والضرورة بين الأمرين فهو اللزوم وعدم المفارقة.

2. اصطلاحا:

ظهر الاستلزام التخاطبي كنظرية تبلورت معالمها على يد الفيلسوف الإنجليزي "بول غرايسPaul Grice "، ويرجع البحث فيها الي محاضرات ألقاها في جامعة هارفارد سنة (1987م) بعنوان "المنطق والتخاطب" ، والمحضرات سنة (1971م) بعنوان" الافتراض المسبق[2] "، فكانت نقطة انطلاق لتصوراته حول القواعد الأساسية في منهجية الاستلزام، اذ يعتبر أن اللغة إما أن تدل على معانٍ حرفية أو أخرى مستلزمة، يحددها السياق العام الذي وردت فيه .

---

[1]– تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، تح: علي سيدي المجلد 17 المادة (لزم)، دار الفكر، (بلا، ط)، 1994، ص 648.

[2]– ينظر: الاستلزام التخاطبي عند بول غرايس " المفهوم والمقومات"، سمية عامر، مجلة قارئ للدراسات الأدبية واللغوية ،مجلد:2، عدد:3، 2019،ص 24.

أولى "**بول غرايس**" عناية بالغة لتحليل المعنى اللغوي من مبدأ أن الناس أثناء حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون[1]، إذ فرق **غرايس** بين ما يقال what is said، وما يقصد what is meant، فالأول ما تجسد في اللفظ، وقد يكون صريحا وظاهرا بينما الثاني ما يؤتى بأدوات الفهم والإدراك، أي إن القصد يكون ضمنيا وخفيا، وهو ما يصنفه بول غرايس إلى:[2]

- المعنى الطبيعي Natural meaning
- المعنى غير الطبيعي Mon_ Natural meaning

ومن الأمثلة التي جاء بها "**بول غرايس**" للتوضيح المقصود من المعنى الطبيعي على النحو الآتي[3]:

- هذه البقع لا تعني شيئا بالنسبة لي لكنها تعني الحصبة بالنسبة للطبيب.
- يشير منبه الحافلة إلى الانطلاق.
- هذه السحب تعني المطر.

---

[1]- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (بلا. ط) 2002، ص33.

[2]- ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003،ص53.

[3]- ينظر المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية. ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، ليلى كادة، أطروحة دكتوراه مخطوطة، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، كلية الآداب واللغات2012، ص 100.

فمن الملاحظ أن هذه الظواهر تطابقت في العلاقة بين أعراضها ونتائجها، وكان للمعنى الطبيعي جملة من الملامح حسب **غرايس**؛ إذ لا يمكن البرهنة من عبارة «**هذه البقع تعني الحصبة**» على أي نتيجة تتعلق بما هو مقصود بهذه البقع، فلا توجد إمكانية لإعادة صياغة الأمثلة السابقة، إلا ويكون فيها الفعل **(يعني)**، كأن نقول: «**هذه البقع تعني أنه مصاب بالحصبة**» ويمكننا القول: «**الحقيقة أن هذه البقع تعني أنه مصاب بالحصبة**»[1]

فالمعنى الطبيعي يعتمد على العلاقات السببية وقوانين طبيعته في تجسيد الظواهر[2]

ويعرف **بول غرايس** المعنى غير الطبيعي بقوله: « **وهي وحدها تعنينا هنا: أن نقول إن القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع تأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيته**»[3]

*ويتضح ذلك بالأمثلة الآتية:

كأن يقول **زيد لعمرو**: «**إن غرفتك زريبة خنازير**» إذ لا يقصد زيد حقيقة أنها زريبة خنازير بل مفاد العبارة أن غرفة عمرو متسخة وغير مرتبة، ففي قوله توبيخا له على كسله وعدم تنظيمه لغرفته.[1]

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص100.

[2]– ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة، القاهرة، (بلا، ط)، ص 41.

[3]– التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك، ص53.

ينتقل المعنى من الطبيعي إلى غير الطبيعي حسب **غرايس** فمثلا «عند ما يحدث الأنين بصورة إرادية ويظل الملاحظ يعتبر هذا سببا كافياً للإعتقاد بأن الذي يئن يتألم ولا يعتبره دليلا على الخداع، ويتحقق هذا عندما يئن المرء بصورة إرادية، ويقصد أن يدرك الملاحظ أنينه على انه فعل إرادي، ويدركه الملاحظ من حيث هو كذلك. ويرى **غرايس** أن الانتقال من المعنى الطبيعي إلى المعنى غير الطبيعي يتحقق تحققا كاملا عندما ينظر الملاحظ (أو المستمع بصفة عامة) إلى الشخص الذي يئن (أو المتكلم بصفة عامة) على

أنه جدير بالثقة».[2] فالأنين عندما يصدر بطريقة لا إرادية عن الشخص فإنه دلالة طبيعية على تألمه، أما إذا كان يتظاهر بالأنين للخداع فسوف تقل درجة الملاحظة لأنينه.

اعتبر **غرايس** القصد من الركائز الأساسية التي تقوم عليها الخطابات، إذ لابد على المتخاطبين أن يفهم كل منهما قصد الآخر وما يجول في ذهنه أثناء إصداره للألفاظ سواءا كان مصرحاً بها أم ضمنياً وملاءمتها للسياق الذي قيلت فيه « يتضح أن مدلول العبارة قد يتجاوز المعنى الحرفي لمجموع ألفاظها وقد يتولد المعنى لدى المخاطب

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص 53.

[2]– نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، ص 41.

قبل أن ينتهي المتكلم من التلفظ بالعبارة ،كما أنه قد ينتهي من التلفظ بالعبارة دون أن يكتمل معناها لدى المخاطب، وكل هذا يكشف عن المعنى الحرفي والمصرح به ليس سوى جزءا من المعنى، أما الجزء المتبقي فيتوقف على كل من المتكلم والمخاطب»[1]

إنَّ المتكلم لا يتكلم مع غيره إلا إذا كان لكلامه قصد، إذ يتخذ من الرسائل الكلامية والمقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد ايصاله، إلا أن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك المقصود من الكلام، وذلك بتفاوت قدراتهم العقلية واللغوية والثقافية[2]، فالسامع يحلل ويؤول الخطابات حسب قدراته.

إذ يعد الاستلزام التخاطبي رسالة مضمرة ضمنية ذات معنى أعمق من المعلومة القضوية الصريحة المباشرة وذلك حسب السياق الذي قيلت فيه.

ومن هنا يمكن القول بأن الاستلزام التخاطبي اصطبغ بصيغة جديدة في ظل الأبحاث التداولية، إذ يعتبره الدارسون محوراً هاماً في الدرس التداولي الذي يعنى بدراسة اللغة في استعمالاتها، فاللغة لم تعد محصورة في بنيتها المجردة بل تعدت ذلك لتشمل معانٍ ضمنية خفية مرتبطة بمقامات وسياقات إنجازها.

ثانيا: طبيعة الاستلزام التخاطبي:

[1]– الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، افريقيا، الشرق المغرب (بلا، ط) ،2004، ص127.

[2]– ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص89.

يعد الاستلزام التخاطبي من البحوث الرائدة في الدرس التداولي على غرار أفعال الكلام والإفتراضات المسبقة ونظرية المناسبة جزء من التواصل غير الصريح، يعتمد في طياته على المفاهيم الضمنية، وسياق الكلام فهو بمثابة جسر يربط بين المعنى الحرفي والمعنى المتضمن وينقسم إلى[1]:

1. المعاني الصريحة: فهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي:

أ/ – المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات جملة ما مضموم بعضها إلى بعض في علاقة اسناد.

ب/ – القوة الإنجازية الحرفية: وتتمثل في القوة الدلالية التي تشير إليها عن طريق أدوات الاستفهام أو الأمر أو النهي أو غيرها.

2.المعاني الضمنية: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، إلا أنها تفهم من خلال السياق الذي وردت فيه. وتتضمن ما يلي[2]:

أ/ – معاني عرفية: هي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا وثيقا مهما تغيرت المقامات التي تمخضت منه كأن نقول «**رفعت الراية البيضاء**» يفهم من هذا التعبير عرفياً على أنه إعلان للاستسلام أو القبول بالهزيمة.

---

[1]– ينظر: الاستلزام الحواري وديناميكية "التخاطب في مفهوم جرايس"، عبد القادر البار، مجلة – مقاليد، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ع14، جوان2018، ص123.

[2]– ينظر: المرجع نفسه. ص123.

ب/ – معاني حوارية: وهي المعاني التي تتولد من المقامات والسياقات التي تنجر فيها كأن نقول:

– هل يمكنك إغلاق النافذة؟

○ هنا يفهم أن المتحدث لا يسأل عن مقدرة الشخص على إغلاق النافذة، بل يطلب منه إغلاقها، وفقا لسمات السياقات الحوارية، يمكن إلغاء الاستلزام إذا ثبتت تفاصيل أخرى تبين عكس ما فهم، فالسؤال: هل يمكنك غلق النافذة؟

○ يقصد به إذا لم تكن مشغولا أغلق النافذة.

وكأن نقول ايضا:

– كيف كان الطعام في المطعم الذي زرته؟

– كان النادل لطيفا.

من هنا نستنتج بأن تجاهله لفظة طعام في الكلام يدل ضمنيا على عدم اعجابه به.

ويمكن التمثيل لتلك المستويات الدلالية بالمثال الآتي[1]:

هل إلى مرد من سبيل؟

[1]– ينظر: التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (ط1) تموز (يوليو). 2005.ص35

فالمعنى الصريح للجملة مشكل من محتواها القضوي وقوتها الإنجازية:

- المحتوى القضوي← ناتج عن ضم معاني مكوناتها الرجوع إلى الحياة الدنيا مرة أخرى

- أما قوتها الإنجازية الحرفية ← فالقرينة الدالة عليها الأداة (هل) فهي الاستفهام، وينتج معناها الصريح من ضم محتواها القضوي إلى قوتها الإنجازية الحرفية.

أما معناها الضمني يتألف من جزئين:

- معنى عرفي: وهو الاقتضاء، أي اقتضاء حالهم الرجوع إلى الحياة الدنيا.

- معنى حواري استلزامي: وهو تمني المتكلم من المخاطب (الله تعالى) أن يردهم إلى الحياة الدنيا.

يمكننا إيضاح الحمولة الدلالية للعبارة في المخطط الآتي[1]:

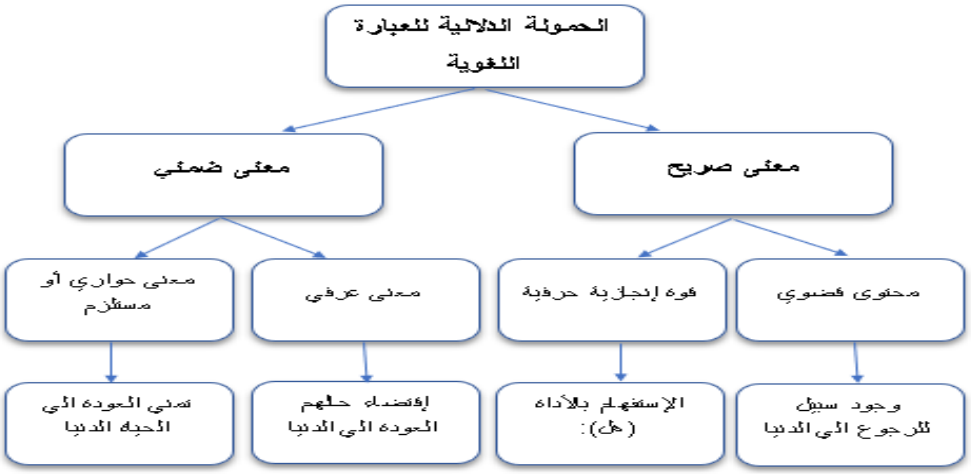

1_

المخطط رقم (01): الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية .

ثالثا: خصائص الاستلزام التخاطبي:

وراء كل تواصل لغوي شبكة من الدلالات، فالكلام لا يؤخذ على ظاهره فقط، بل ينبثق المعنى داخل الخطاب من وعي المتكلم بشخصية المخاطَب. إذ يشترط على كل فعل كلامي ألا ينفصل عن إدراك المتكلم لطبيعة المتلقي من حيث صفاته الفردية وقدراته العقلية وموقعه ضمن السياق الاجتماعي والثقافي بإعتباره يمثل الذات المحورية في العملية التخاطبية، فالكلام ليس مجرد وضع عشوائي للألفاظ المعجمية بل هو بناء، وتأويل الكلام ليس بعملية فردية، بل يعتمد على عدة أطراف: المتكلم والمستمع والسياق العام الذي يتم

فيه التخاطب، مما يجعل الخطاب يتضمن احتمالات وتفسيرات متعددة. فـ "إنشاء الكلام من لدن المتكلم، وفهمه من لدن المخاطَب، عمليتان لا انفصال لأحداهما عن الأخرى، وانفراد المتكلم بالسبق الزمني ما كان ليلزم عنه انفراد بتكوين مضمون الكلام، بل ما أن يشرع المتكلم في النطق حتى يقاسمه المخاطَب دلالاته، لأن هذه الدلالات الخطابية لا تنزل على ألفاظها نزول المعاني على المفردات في المعجم، وإنما تنشأ وتتكاثر وتتقلب وتتعرف من خلال العلاقة التخاطبية متجهة شيئا فشيئا إلى تحصيل الاتفاق عليها بين

المتكلم ونظيره المخاطَب، بعد ان تكون قد تدرجت في مجاوزة اختلاف مقتضيات مقامهما واختلاف طرق عقدهما للدلالات".[1]

يحق للمتكلم أن يسلك سبيل الاستلزام والتعبير غير المباشر متى رأى أنه يتمكن من إيصال أغراضه فليس من الضروري أن يكون الكلام دائما مباشرا وصريحا، بل قد يكون التعبير غير المباشر آداة لغوية فعالة أكثر تأثيرا وملاءمة للسياق، كما أن المخاطب لا يمكنه الاكتفاء بالمعاني الظاهرة، بل يسعى جاهداً إلى الإدراك والتأويل والبحث عن الدلالات الخفية والمتضمنة في الكلام.[2]

يعد التعبير الضمني أحد الحقوق التواصلية التي يتمتع بها المخاطب، إذ يمكنه من الإفصاح عن مقاصده بصورة غير مباشرة، شريطة ألا يبلغ في ذلك حد الالتباس والتعمية

على مخاطَبه، كما أن من حق المخاطَب أن يستند إلى آليات التأويل والادراك في استنباط المعنى، مشروط هو أيضا بعدم التوسع فيه والهلوسة إلى درجة يجعل كل ملفوظ يحتمل معاني متعددة. وبالتالي يتلاشى دور المؤسسة اللغوية في التمييز بين المعاني، مما يؤدي إلى انعدام وموت عنصر المعنى تماماً.[3]

وبإمكاننا أن نجمل خصائص الاستلزام التخاطبي في الآتي:

---

[1]– في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص 50.

[2]– ينظر المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي انموذجا، ليلى كادة، ص 113.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 113.

1. **الاستلزام قابل للإلغاء: Defeasible**: المعنى المستلزم في الكلام ليس ثابتا، إذ يمكن للمتكلم من أن ينكر ما يستلزمه كلامه، ويحدث ذلك إذا عمد المتكلم إلى إضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة الكتاب مثلا: لم أقرأ كل كتبك، فقد يستلزم عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها فقد ألغت الاستلزام[1]. فهذا من شأنه أن يقوم بتقييد وتضيق نطاق تأويل المخاطَب واستخلاص للمعاني الضمنية.

وفي حوار بين شخصين مثلا:

أ: هل ستحضر حفل تخرجي؟

ب:إن استطعت.

يستلزم من إجابة المخاطَب الرفض، أما إذا وضح كلامه بقوله: «**سأحضر إذا لم أكن مشغولا**»، هذا ما يلغي الاستلزام الأولي.

2. **الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي:non-detachable**

الاستلزام التخاطبي متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فالمعنى الحقيقي المستنتج لا يعتمد على المعنى الضمني والقصد الذي يدركه المخاطَب من الكلام، ويتضح ذلك من خلال الحوار الذي دار بين الأختين:

[1] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة،ص38 .

س: لا أريدك أن تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.

ج: لا أتسلل، ولكن في أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء[1].

لا يزال عدم الرضا عن هذا السلوك قائما وهو ما يستلزمه القول، وعلى الرغم من تغيير الصيغة في قول(ج).

3. **الاستلزام متغير**: تتعدد دلالات الاستلزام بتعدد السياقات المختلفة التي يوظف فيها، ويرجع هذا التعدد التداولي إلى التفاعل التخاطبي القائم بين طرفي الخطاب. ويتضح ذلك من خلال المثال الآتي: أن يقول رجل سرِق متاعه يوم العيد: تلك أفضل هدية، ومن الممكن أن يقول العبارة نفسها رجل تلقى رسالة من صديقٍ قديم له، أو طالب سمع خبر نجاحه يوم العيد[2].

فالاستلزام لا يؤدي معنى دلالي محدد، بل قادر على إنتاج جملة من الاستلزامات تتغير بتغير السياق، ففي المثال السابق لابد على المتلقي أن يفهم قصد المتكلم، فالقوة الإنجازية الحرفية تحمل اكثر من معنى ضمني متغير بتغير السياق الذي ورد فيه.

4. **الاستلزام يمكن تقديره Calculability**: يستطيع المخاطَب الوصول إلى المعاني المستلزمة، إذ يقوم بمجموعة من الخطوات التأويلية، آخذاً بعين الإعتبار الظروف المحيطة بالحديث، أي أن المخاطَب لا يكتفي بالمعنى الصريح، بل هو في حاجة إلى

---

[1] – ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

[2] – ينظر: في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي ،أنمار إبراهيم أحمد، مجلة ديالي، العدد: الحادي والسبعون،2016،ص 212.

تأويله للوصول إلى القصد الحقيقي من العبارة. فإذا قيل مثلا: الملكة فكتوريا صنعت من حديد، فهذه العبارة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي فيذهب للبحث عما وراء الكلام من معنى، ليصل ضمنيا إلى معنى أنها كانت قوية الإرادة صارمة، صلبة في إتخاذ قراراتها لا تتراجع بسهولة.[1]

إن ظاهرة الاستلزام التخاطبي من أهم الظواهر التداولية المتغيرة المرتبطة بلحظة الكلام وسياق الخطاب، تقوم هذه الظاهرة على أساس المعنى المستلزم الضمني، الذي يدركه المخاطب من خلال المعرفة المسبقة بين المتكلمين، وكذا القدرات العقلية والاستدلالات، فالمعنى المستلزم معنى منفلت يصعب تحديده.[2]

في ضوء ما تم استعراضه، يتضح جلياً أن الاستلزام التخاطبي يشكل عنصراً أساسياً في تحليل المعاني غير المباشرة في التفاعل اللغوي، من خلال خصائصه التي تسهم في استنتاج المعاني الضمنية بناء على السياق الذي قيلت فيه، وبالتالي يعد الاستلزام آداة رئيسية لفهم كيفية بناء المعنى بين المتكلم والمتلقي أثناء العملية التخاطبية.

[1]- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص39-40.

[2]- ينظر: الاستلزام الحواري عند بول غرايس. المفهوم والمقومات، سمية عامر، ص35.

المبحث الثاني: قوانين المحادثة عن" بول غرايس".

أولا: مبدأ التعاون:

تستند نظرية الاستلزام التخاطبي على المعارف المشتركة بين المتخاطبين، إذ يتبعون جملة من القوانين الضمنية التي تتحقق بواسطتها العملية التواصلية وتؤدي بدورها إلى تحقيق نوع من الانسجام، وهو ما دفع بـ "غرايس" لصياغة مبدأ عام يخضع له المشاركون في العملية التخاطبية ويسمى بـ **."مبدأ التعاونCooperative principle** "، إذ انطلق من رأي مفاده أن المتخاطبين أثناء محادثة مشتركة يحترمون **مبدأ التعاون**، إذ يتوقعون أن

يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لييسر تأويل أقواله.[1]

وصيغ هذا المبدأ على النحو الآتي: **«ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه».**[2]

يهدف هذا المبدأ إلى التعاون بين المخاطَب والمخاطب للوصول إلى الهدف من هذا الخطاب، سواءا كان هذا الهدف قبل الدخول في العملية التخاطبية أو حاصل أثناءها. ومبدأ التعاون ينقسم إلى أربعة قواعد أساسية، فعلى من يستخدم اللغة اتباعها إذا

---

[1]- ينظر: نظرية غرايس الحوارية عرض ونقد، العياشي أدراوي، مجلة الاستغراب، عدد 36 ،حريف.1446/ 2024، ص62

[2]- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص 103.

أراد أن يكون "**متعاونا**"، فالمبدأ التعاوني يصف ما ينبغي أن يكون لا ما هو كائن بالفعل في مجمل الحوارات والتفاعلات الإنسانية.[1] أطلق عليه **بول غرايس** القواعد التخاطبية Conversational maxims، وجعل هذه القواعد تحت أربع مقولات وهي:

(الكم/ quantity)، (الكيف/ quality)، (الملاءمة/ Relevaance)، (الجهة/ perspective).[2]

1. قاعدة الكم/ quantity: "نقول ما هو ضروري بالضبط ولا تزيد أكثر من الضروري"[3]،

إذ نقدم القدر اللازم من المعلومات لا أكثر ولا أقل " خير الكلام ما قل ودل"[4].

ويتضح ذلك جليا في المثال الآتي:

أ: متى خرجت؟

ب: خرجت على الساعة السابعة صباحا.

ه نا الجواب يحتوي على القدر الكافي من المعلومات لا زيادة ولا نقصان.

1. قاعدة الكيف / quality: كن صادقا وتتجلى هذه المسلمة في قاعدتين:

---

[1]- ينظر: تبسيط التداولية: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة (ط1) ،2010،ص40.

[2]- ينظر: studies in The way of words, Paul Grice les développements du pragmatique in langage, Frangais, 1979.p25.

[3]- التداولية من أوستين إلى غو فمان، فيليب بلانشيه تر: صابر الحباشة. دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية (ط1) 2007،ص84.

[4]- ينظر: تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد مزيد، ص 40.

– لا تقدم معلومات خاطئة.

– لا تقدم معلومات لا تستطيع البرهنة عليها.

كما تقول الحكمة الإنجليزية «**الصدق منجاة**» و«**الأمانة أفضل الطرق**»[1] ومن أمثلتها:

أ/ هل جاء الأستاذ اليوم؟

ب/ نعم، وقدم درسا في التداوليات.

هنا المتحدث يقول الحقيقة بناءا على معرفته.

2. قاعدة الملاءمة /Relevance: لتكن معلوماتك ومساهمتك ملائمة للحوار، فلا تخرج عن الموضوع لأن لكل «**مقام مقال**» ولكل «**حادثة حديث**»[2] مثلا:

أ/ كم الساعة الآن؟

ب/ إنها السادسة مساءا

كانت إجابة **(ب)** ملاءمة بشكل مناسب للسؤال، وبهذا يتحقق مبدأ التعاون.

3. قاعدة الجهة/Perspactive: اعتبر **غرايس** أن هذه المسلمة تختلف عن المسلمات السابقة في كونها لا تعنى بما قيل ، وإنما بما ننوي التعبير عنه، يشترط أن يكون واضحاً.

وتتفرع تحتها القواعد الآتية:

---

[1]– ينظر: المرجع نفسه.

[2]– ينظر: المرجع نفسه. ص40

– ليكن تدخلك واضحا.

– ليكن تدخلك موجزا.

– اجتنب الغموض.

– أجتنب الالتباس.[1]

–تخاطب الناس على قدر عقولهم وتخصصاتهم وخلفياتهم[2] من أمثلتها ما يلي:

أ/ كيف يمكنني أن أصل إلى الجامعة؟

ب/ انعطف يسارا، وسر لمسافة 800 متر ستجد الجامعة على يمينك فالمعلومات المقدمة مرتبة ومنظمة بطريقة سلسة ومنطقية.

يرى **غرايس** هذه المقولات الأربعة سابقة الذكر هي بمثابة القواعد التي تضبط العملية التخاطبية، إذ وجب على المتخاطبين الالتزام بها أثناء الحوار، وفي حالة إذا خرق أحد المتخاطبين لقاعدة أو أكثر من هذه القواعد «وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره

عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى المصروف إليه، يحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر ومن القرائن، وذلك بالذات ما عبر عنه بالاستلزام التخاطبي».[1]

[1] ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 2016، 1437هـ، ص102.

[2] – ينظر: تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد مزيد، ص 40.

فإن الغاية المرجوة من هذه المسلمات تتمثل في ضمان فعالية عالية للتبادل الكلامي، دون أن يلغي ذلك إمكانية الحديث عن غاية المتكلم في التأثير على الآخرين وشد اهتمامهم.[2]

ولهذه القواعد مبتغى واحد يتمثل في ضبط مسار التخاطب ،فإحترامها هو السبيل الأمثل للوصول إلى الغايات والمقاصد المرجوة، و إذا ما خالف المتخاطبان بعض هذه القوانين فإن الإفادة من الخطاب تنتقل من المعنى الصريح إلى الضمني والمجازي[3]، مثل قول أحدنا لآخر" **أشتد البرد في هذا المكان**"، فهذا إخلال بقانون الإخبار، لأنه يعلم بما أخبرناه ،إلا أن المعنى الضمني يقصد به أن يبادر الآخر في غلق الباب « فهذا الخروج سماه غرايس بعملية الخرق **violation** التي تهدف إلى اشتقاق دلالات جديدة كامنة وراء المحتوى الدلالي للعبارات اللغوية، وهو ما اصطلح عليه **غرايس** بالاستلزمات الخطابية سواء كانت إقتضاءات منطقية logical implication أو لزوماً دلالياً entailment أو

---

[1]– في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص104.

[2]– ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص102.

[3]– ينظر: المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، آمنة بعلى، مجلة اللغة والأدب، المجلد 11. العدد 1:، 2006،01،01، ص281.

استنتاجاً منطقياً Consequen Celogical، وغيرها من المصطلاحات التي تستخدم للدلالة على الإستدلالات المشتقة»[1]

التواصل الفعال يتطلب من المتكلم قول ما هو ضروري فقط ،ألا يفرط في الكلام ولا يقتصر فيه (الكم)، وأن يتحدث بما يراه صحيحاً بعيداً عن التضليل (الكيف)، وأن يتلاءم مضمون خطابه مع الهدف المقصود من الخطاب (الملاءمة)، ويقدم المعنى بعبارات خالية من التعقيد والالتباس (الجهة).

يمكن ملاحظة جميع هذه القواعد في المثال الآتي:

الأب: اين الاطفال؟

الأم: إما أنهم يلعبون في أسفل المبنى، أو ذهبوا لشراء بعض الأشياء ولست متأكدة اين هم بالضبط.

من خلال هذا المثال نلاحظ أن الأم قدمت القدر الصحيح من المعلومات (الكم) واجابت بصدق (الكيف)، وأدركه الغاية من سؤال زوجها، وكانت اجابتها ملاءمة للسؤال (الملاءمة)، وجاءت إجابتها واضحة (الجهة)[2] ،ففي هذا المثال لا يوجد اي استلزم تخاطبي لأن الام قالت ما تقصده.

ومثال آخر في محاورة قصيرة بين الاب وابنه:

---

[1]– ا لمكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، ليلى كادة، ص 117،118

[2]– – ينظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح اسماعيل، ص88.

الأب: أين مفاتيح المكتب؟

الابن: على الطاولة.

يتحقق مبدأ التعاون في هذه المحاورة إذ استخدم الإبن القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة أو نقصان **(الكم)**.

– وكان صادقاً في إجابته **(الكيف)**،

– وأجاب إجابة واضحة **(الجهة)**.

وكانت إجابته ذات صلة وثيقة بسؤال والده **(الملاءمة)**، ولذلك لم يتولد أي استلزام لأنه لم يقل إلا ما قصده.

أدرك **غرايس** أن هناك الكثير من الحالات يخفق فيها الناس في مراعاة قوانين المحادثة واحترامها، وقد ينشأ هذا الإخفاق عن تعمد الكذب وخداع الآخرين او عدم قدرة المتكلم على التعبير عن مقاصده ويتحقق الاستلزام التخاطبي بأمرين[1]:

– أما امتثالنا واتباعنا لقواعد التخاطب كما هو موضح في المثالين السابقين.

أو كسر هذه القواعد والخروج عنها، فـ :« هذه المبادئ التي يجري عليها الحوار كثيرا ما تنتهك بل إن النظرية كلها قائمة على ذلك، فإنتهاك مبادئ الحوار Flouting of mavins هو الذي يولد الاستلزام»[2]

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص88،89.

[2]– آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص35،

فإذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار يسعى المخاطَب إلى الوصول لغرض المتكلم من هذا الانتهاك، ومن الأمثلة التوضيحية ما يلي[1]:

- **خرق قاعدة الكم:** جرى حوار بين الأم (أ)، وابنها **(ب)**.

ا: هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟

ب: اغتسلت.

تم خرق وكسر لمبدأ الكم في هذا السياق، لأن المتكلم لم يقدم القدر الكافي من المعلومات المطلوب تقديمها ،فقد طرحت الأم عليه سؤال متعلق بأمرين، إلا أنه أجاب عن واحد وتجاهل الآخر، وهذا ما يجعل إجابته أقل مما يتطلبه المقام التخاطبي، ومن إجابته يستلزم على الأم أن تدرك بأنه لم يضع ثيابه في الغسالة .

- **خرق قاعدة الكيف:** في محاورة بين التلميذ (أ) وأستاذه **(ب)**

أ: طهران في تركيا، أليس هذا صحيحا يا أستاذ؟

ب: طبعا، وفرنسا في إفريقيا.

ينتج عن هذا الحوار انتهاك الاستاذ لمبدأ الكيف الذي يقتضي ألا يقول إلا ما يعتقد صوابه، وألا يقول مالا دليل عليه.

فهذا يعني أن الاستاذ تعمد انتهاكه ليوبخ ويؤنب التلميذ على جهله وأن إجابته خاطئة، فالتلميذ يعلم أن فرنسا ليست في إفريقيا.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص36.

- **خرق قاعدة الملاءمة:** يتضح هذا الخرق من خلال الحوار الآتي بين شخصين إثنين:

ا: أين أحمد؟

ب: ثمة سيارة حمراء تقف أمام منزل زيد.

نلحظ من خلال هذا الحوار أن ما قاله الرجل **(ب)** بمعناه الحرفي ليس اجابة على السؤال، لأن إجابته غير ملاءمة للسؤال المطروح، إلا أن السامع في ضوء المبادئ الأخرى للتعاون يسأل نفسه: ما هي العلاقة الممكنة بين وقوف السيارة الحمراء أمام منزل زيد والسؤال عن مكان تواجد أحمد، ليصل إلى أن المعنى المراد بهذا القول إن كانت لأحمد سيارة حمراء فلعله عند زيد.[1]

- **خرق قاعدة الجهة:** في حوار دار بين شخصين. **(أ)** و**(ب)**:

أ: ماذا تريد؟

ب: قم، واتجه نحو الباب، وضع المفتاح في القفل ، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع برفق.

ففي قول (ب) انتهاك لقاعدة الجهة ،كان بإمكانه أن يكتفي بقوله :افتح الباب[2]، يتبين من هذا الكلام أنه يحمل انتقادا موجه إلى من يتصف بالبطء والكسل والخمول.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص37.

[2]- ينظر: المرجع نفسه.

«يتضح أن عملية التخاطب بالنسبة **لغرايس** تحكمها مجموعة من النوايا والمقاصد، وهي مقاصد غير صريحة ولا معلنة بين المتخاطبين، كما تحكمها خلفية معرفية مشتركة تجعل عملية التواصل بينهم مستحيلة في ظل غياب جملة من الشروط التمهيدية، لكن هذه المقاصد لا توجه التواصل دائما، لأننا في مناسبات كثيرة نتجاوز القصد الذي نرمي إليه وربما نعبر عن أمور لا نقصدها»[1]

صفوة القول إن مبدأ التعاون من الضوابط التي تحكم العملية التخاطبية، فخرق احدى قواعده يؤدي بالضرورة إلى الانتقال والخروج من القول الصريح إلى الضمني، أي من المعنى الطبيعي إلى غير الطبيعي.

ثانيا: النقد الموجه لمبدأ التعاون:

يعد مبدأ التعاون كما صاغه بول غرايس من المفاهيم الأساسية في الدراسات التداولية المتعلقة بالتواصل الإنساني، حيث يبنى على افتراض ضمني مفاده أن متخاطبين يسعون لإنجاح العملية التواصلية من خلال تقيدهم ضمنياً بجملة من المبادئ التي تضمن سير فعالية التواصل، غير أن هذا المبدأ لم يخل من الانتقادات، إذ أثيرت حوله تساؤلات عدة من حيث قابليته للتطبيق في خطابات. إذ اصبح محطة جدل بين الباحثين، فتضاربت

[1]– التداولية اصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ص104،105.

أراءهم بين مؤيد ومعارض، ومرد ذلك إلا أن القواعد الغرايسية تقتصر على تنظيم الجوانب التبليغية في العملية التخاطبية بينما تسقط الجوانب التهذبية التي لها دورا أساسياً في التفاعل اللغوي بين المتخاطبين. وهذا ما أشار إليه "**طه عبد الرحمن**" في عبارته «**هناك أنواع شتى. لقواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل (لتكن مؤدبا) التي يتبعها المتخاطبون في أحاديثهم والتي قد تولد معاني غير متعارف عليها**»[1]، إلا أن **غرايس** لم يولي له اهتمام كبير وذلك راجع إلى ثلاث أسباب[2]:

– لم يفرد الجانب التهذيبي بالذكر، بل جمع الجانب التجميلي والجانب الاجتماعي، بوصف هذه الجوانب جميعاً لا تستجيب للغرض الذي خصص للمخاطبة إلا هو نقل الخبر على أوضح وجه.

– لم يضبط كيف يمكن أن نباشر في وضع القواعد التهذيبية، ولا كيف يمكن ترتيبها مع القواعد التبليغية.

– غفل **غرايس** على أن الجانب التهذيبي قد يكون هو الأصل في خروج العبارات من المعنى الصريح إلى المستلزم.

ختم **طه عبد الرحمن** نقده بالمطالبة بوضع مبدأ يجمع بين عنصر التبليغ والتهذيب.

[1]– اللسان والميزان او التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن. دار البيضاء، بيروت، (ط1) ،1998ص239

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص240.

أما الباحثة الإنجليزية "**دايردر بورتون Deirdre Burton** " ترى أن في قواعد **غرايس** بعض النقص والقصور، إذ يمكننا أن نوجز انتقاداتها فيما يلي:[1]

- يجب أن تكون القوانين التي عرضها **غرايس** منظمة تؤدي فائدتها مع مراعاة الاستدلالات القوية strong inférences المتعلقة بالمساهم الذي يخرق إحدى القوانين.

- تعد الاستدلالات المشار إليها قاصرة بالنسبة إلى ما تعبر عنه العبارة اللغوية.

تمتاز قواعد المبدأ التعاوني بالضعف وذلك لأنها لم تشرح طبيعة العلاقة بين "**المعنى sen**" و"**القوة Force**".

- هناك العديد من اللغات لا تنطبق عليها قواعد مبدأ التعاون لأنها ليست كلية "**Universel**"

دعت الباحثة إلى وضع قواعد تخاطبية تحمل المواصفات الجمالية، والاجتماعية والأخلاقية.

ويقول **صلاح اسماعيل** في هذا الصدد «ربما نحس أن حديث **غرايس** عن قواعد التخاطب، التي قد يختلف حولها علماء اللغة، هو أشبه شيء بعلم اللغة وأقرب إليه من شبهه بالفلسفة وقربه إليها، ولكن الحق أن هذه القواعد لم تكن غاية تطلب لذاتها، وإنما

[1]- ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي انموذجا، ليلى كادة، ص121،122.

كانت وسيلة يبتغيها الفيلسوف ليصل إلى أغراضه، وفي طليعته أن الخلاف بين الصوريين

واللاصورين حول معاني الروابط المنطقية ونظائرها في اللغة الطبيعية يرجع إلى افتقار الفريقين إلى العناية الكافية بقواعد التخاطب» .[1]

حسب رأي صلاح إسماعيل أن نظرية الاستلزام التخاطبي رغم الانتقادات التي وجهت إليها إلا أنها حظيت برواج بين علماء الدلالة، وسر ذلك "أنها تمكن الباحث النظري عندما تتوفر شروط معينة ،من نقل عبء التفسير من علم الدلالة إلى علم الاستعمال ،ومن هذه الوجهة من النظر، فإن الفكرة المهمة إلى حد بعيد هي الفكرة عن المقتضيات التخاطبية (العامة)generalized ، وعندما يكون الاقتضاء عاما، أعنى عندما يتولد عن طريق الإهمال فإنه يميل إلى أن يصبح غير قابل للتميز من المحتوى الدلالي[2] "، فالمعنى لا يعتمد على الكلمات المعجمية فقط ،بل على طريقة استعمالها داخل السياق اللغوي، وهذا يؤدي إلى صعوبة التفريق بين المعاني ضمنية المستخلصة من السياق والمحتوى القضوي من الكلام.

[1]– نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، ص89

[2]– النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، صلاح إسماعيل، مجلس النشر العلمي، الكويت،(بلا،ط)، 1426هـ،2005م،ص92.

ومن مزايا نظرية الاستلزام أنها تتيح للمتكلم وضع الكثير من الجوانب الحدسية من المعنى (في سلة المهملات الاستعمالية) pragmatic wastebasket باعتبارها

مستلزمات بدلاً من أن تعامل بوصفها معطيات حقيقية لعلم الدلالة .فنظرية الاستلزام تعلمنا كيفية التمييز بين المضامين الدلالية بصورة حقيقية للعبارة وبين المضامين الاستعمالية[1] .

خلص عدد من الدارسين إلى أن قوانين **غرايس** لا تعدو أن تكون مجرد قوالب إجرائية تستمد قوتها الصورية formal adeqution من العوامل الأساسية لتعميم وخلق الأوهام ، فهي لا تثبت على حال ومعرضة للتداخل لا للتكامل، فثمة بعض الظواهر البلاغية، لا يمكن دراستها داخل قانون وحيد، بل تتضافر قوانين تتسم بطابع التداخل فيما بينها وليست مستقلا بعضها عن بعض.[2]

فالنظرية الغرايسية قد لا تكون كافية لتفسير كل الظواهر اللغوية، وبالتالي يرى بعض الناقدين أن هذه النظرية تحتاج إلى تعديل وتوسيع، لتشمل على مجموعة من قواعد التداولية القادرة على تفسير الظواهر اللغوية. في حين يرى البعض الآخر أن «العمل

[1]– ينظر: المرجع نفسه.

[2]– ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخاطبي انموذجا، ليلى كادة، ص125.

الجبار الذي قام به **غرايس** في تقعيد التخاطب كان له التأثير في تحديد المبادئ الرئيسية في عمليات المحادثة وأشكال التواصل بين المتخاطبين وهي مبادئ ساهمت إلى حد كبير في ابراز القيمة التداولية للكلام وأعطت مفهوما جديدا للمعنى الضمني والمعنى الحرفي ولمعنى

التأويل والفهم وعالجت اشكالات المقامات أو السياقات التي كانت تقف في وجه التحليل

المنطقي التقليدي، معالجة فتحت الباب أمام توظيف نتائج العلوم المعرفية».[1]

صفوة القول بالرغم من أن نظرية **غرايس** كانت ولا زالت الركيزة الأساسية لفهم التواصل البشري، إلا أنها تفرض على المتحدثين الالتزام بالمبادئ الأربعة، وهذا ما لا يتوافق مع العديد من المواقف، غير أن هذه الانتقادات مثلت حافزا دفع عددا من الباحثين إلى اقتراح مبادئ بديلة أو مكملة تهدف إلى تجاوز القصور في وسد الثغرات في مبدأ التعاون.

ثالثا: المبادئ المكملة والمتفرعة عن مبدأ التعاون:

[1]– عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، دار البيضاء، إفريقيا شرق، المغرب، 2006، (بلا، ط)، ص25

أسهمت الانتقادات الموجهة إلى قواعد **غرايس** التخاطبية في تحفيز الجدل العلمي، لإعادة تقيمها والنظر في مدى ملاءمتها، والسعي إلى تطويرها وتحديثها بما يتوافق مع التطورات المعرفية والعلمية المعاصرة، ومن هذا المنطلق سعى عدد من الباحثين إلى اقتراح مبادئ إضافية تعد مكملة لمبدأ التعاون، بهدف معالجة الفجوات التي كشفت عنها الانتقادات سابقة الذكر، ولعل أهم هذه المبادئ ما يلي:

1. مبدأ التأدب:

تعد عالمة اللغويات **(روبين لا كوف)**، أول من صاغ هذا المبدأ بشكل منهجي في إطار علم اللغة التداولي، إذا انتقدت الباحثين على وقوفهم عند الشكل اللغوي فقط معتبرة أن الحكم على الجمل لا ينبغي أن يقتصر على التراكيب النحوية، وهو ما جعل الباحثة تدعو إلى ضرورة مراعاة السياق الذي تستعمل فيه وما يوحيه من افتراضات منطقية وتداولية[1]، فهذا المبدأ ارتبط باسم روبن **لاكوف** في مقالة: **«منطق التهذيب»** ، ويقضي بأن يلتزم المتكلم والمخاطَب في تعاونهما على تحقيق الهدف الذي من أجله شرعا في الخطاب من ضوابط التهذيب بقدر ما يلتزمان به من قواعد التبليغ، وصيغة هذا المبدأ هي:

[1]- ينظر: the logique of politnes or Minding your Ps and O"S, Robin LA koff, in, papers from the minth regional meeting chicago linguistic society, 1973,p292.

– لتكن مؤدبا[1].

إذ يقضي هذا المبدأ بأن يلتزم المتكلم والمخاطَب، في تعاونهما على تحقيق الغاية المنشودة من العملية التواصلية.[2]

1.1 قواعد التخاطب المتفرعة من مبدأ التأدب:

يتضمن مبدأ التأدب لدى **لاكوف** ثلاث قواعد رئيسة سمتها "**قواعد تهذيب الخطاب**"، إذ يتلفظ المرسل بخطابه وفقا لواحد منها أو أكثر، وهي:[3]

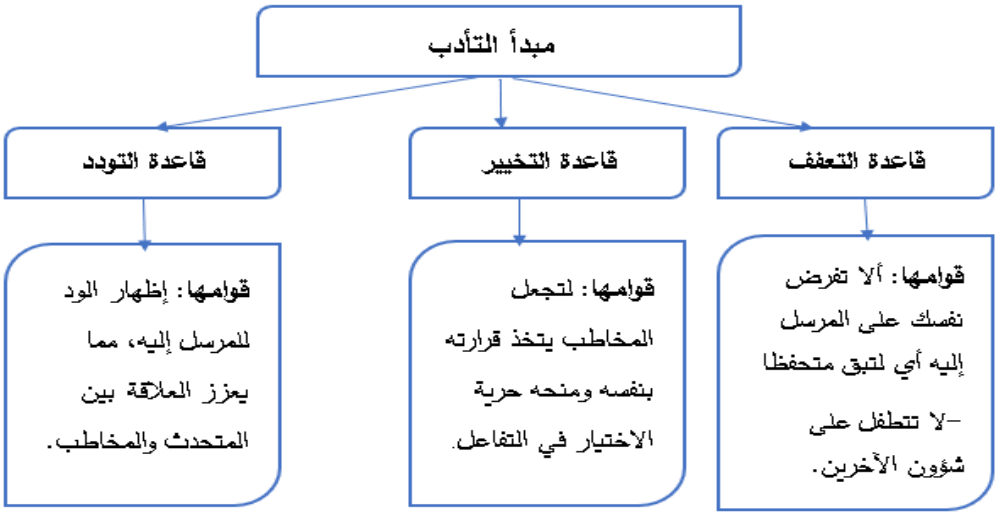

المخطط رقم(02) يمثل قواعد التخاطب المتفرعة عن مبدأ التأدب.

[1]– ينظر: نظرية غرايس الحوارية "عرض ونقد"، العياشي أدراوي،ص70/69.

[2]– ينظر: اللسان والميزان او التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص240.

[3]– ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري مكتبة دار المكاتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، (ط1)، الربيع، 2004ص100.

ترى لاكوف أن هذه القواعد تتجه بطبيعتها نحو الشمولية والكلية، إذ تعتمد عليها مختلف المجتمعات البشرية وتمارس ضمن جمعات لغوية واحدة، ومن ثمة فإن ما يلاحظ من اختلاف في التهذيب ليس سوى اختلاف في ترتيب هذه القواعد، بحيث يقدم بعضها على بعض[1] ،وتتوصل إلى وجود علاقة بين مبدأ التعاون، مبدأ التأدب، إذ يتفقان في بعض الجوانب ويختلفان في جوانب أخرى «فتجسد قاعدة التعفف خصيصة الاتفاق وذلك من خلال انتاج الخطاب بصورة رسمية، مما يقتضي وضوحه، وهذا ما يقضي إلى إدراج مبدأ

التعاون بقواعده تحتها، إنطلاقا من اعتماد المرسل على أقصر الطرق في تبليغ المعلومات إلى المرسل إليه يتجنب اهدار وقته».[2]

يتمثل الاختلاف الحاصل بين مبدأ التعاون والتأدب في انتاج ملفوظ وفق مقتضيات قاعدتي التغيير والتودد إذ قد يفضي إلى انتهاك لقواعد مبدأ التعاون.[3]

يتبين من طرح الباحثة بالرغم من دعوتها وتأكيدها على ضرورة الاهتمام بسياق التلفظ، وما ينطوي عليه من افتراضات منطقية وتداولية، إذ سعت إلى تجاوز الرؤية الشكلية التقليدية التي تكتفي بالبنية اللغوية المجردة للحكم على مدى صحة الجمل

---

[1]- ينظر: نظرية غرايس الحوارية" عرض ونقد"، العياشي ادراوي،ص70.

[2]-استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،عبد الهادي بن ظافر الشهري،ص102.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص102.

ومقبوليتها، مؤكدة على أن المعنى لا يستخلص من البنية اللغوية المجردة فحسب، بل تستنبط من التفاعل الحاصل بين الملفوظ والسياق التداولي الذي ينتج فيه.

وعلى الرغم من أن هذا المبدأ وضع لتحقيق المقصد الأساسي من الفعل التواصلي، إلا أنه كان محلاً لعدد من الانتقادات التي تناولت جوانب القصور فيه.

2.1 النقد الموجه لمبدأ التأدب:

رغم الأثر الكبير الذي أحدثته نظرية التأدب في مجال الدراسات اللغوية والاجتماعية، إلا أنها لم تسلم من الانتقادات التي استهدفت جوانبها النظرية والتطبيقية ونوجزها فيما يلي:[1]

- إن أول ما يلاحظ على قواعد التأدب هو تدرجها من حيث القوة والضعف، فأقواها قاعدة التودد، ثم قاعدة التشكك، وبعدها قاعدة التعفف، وهذا التفاوت يجعل بعضها يقصي بعض. فقاعدة التشكك تتعارض أحياناً مع قاعدة التعفف، وقد تحل محلها عندما لا تناسب سياق التلفظ.
- قواعد مبدأ التأدب يتوافق بعضها مع مبدأ التعاون الغرايسي، في حين يناقضه البعض الاخر. فقاعدة التعفف تهدف إلى إنتاج الخطاب بشكل رسمي وواضح، بعيداً عن الثرثرة وتجاوز القدر المطلوب من المعلومات وعدم مراعاة المقام، في حين أن قاعدتي التودد والتخيل تسير في الاتجاه المعاكس بخرق تلك القواعد.

[1]- ينظر: قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن" دراسة نقدية "،عمر بوقمرة،ص48 .

– وما يعيب على مبدأ التأدب أيضا هو افتقاره إلى "مفهوم العمل" الذي يهدف إلى تقويم وتوجيه سلوك نحو وجهة خلقية حسنة.

بما أن مبدأ التأدب اقتصر على الجانب التجريدي للتهذيب وأغفل الجانب العمل والإصلاحي، فأصبح من اللازم البحث عن مبدأ آخر يعنى بهذا الجانب العملي.

2. مبدأ التواجه واعتبار العمل:

يعتبر مبدأ التواجه الذي صاغه **بنلوب براون** و**ستفن ليفنسون** مبدأ تداولياً ينظم عملية التخاطب قوامها: اللقاء المباشر بين الأفراد وجها لوجه أثناء التفاعل، وذلك لضمان سير التواصل بشكل منظم وفعال.

ويمكننا أن نصوغ هذا المبدأ كما يلي: **(لتصن وجه غيرك)**[1]

وهو مبدأ يقوم على مفهومين متناقضين ألا وهما الصيانة والتهديد، فإن حضر أحدهما سقط الآخر، فالوجه إما أن يكون مهدداً وإما مصون[2]

يستند هذا المبدأ على مفهومين أساسين يشكلان الأساس الذي هو يقوم عليه تطبيقه هما:

أ/: قيمة الوجه: فهو عبارة عن الذات التي يدعيها المرء لنفسه، إذ يسعى الفرد إلى ابرازها او الحفاظ عليها في تفاعلاته مع الآخرين، وهو على ضربين:

[1]– ينظر: اللسان والميزان التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص243.

[2]– ينظر: قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن " دراسة نقدية "،ص 49.

- الوجه الدافع: هو رغبة المرء في أن لا يعيق الآخرون أفعاله وتصرفاته واتخاذ قرارته باستقلالية.

- الوجه الجالب: فهو رغبة الفرد في أن يقر الآخرون بأفعاله ويعترفوا بها.

ب/: نسبة تحديد الوجه: عمل الباحثان على تصنيف عدد من استراتيجيات التخاطب لضمان الاحترام المتبادل، مما لزم عنه تصنيفا للأفعال التي تهدد الوجه، إذ يربطان بين الأفعال اللغوية وبين نسبة تهديدها للوجه.[1]

1.2 قواعد التخاطب المتفرعة عن مبدأ التواجه:

اقترح **براون وليفنسون** عدداً من الاستراتيجيات يختار المتكلم منها ما يراه مناسباً لقوله

وهي[2] :

– أن يمتنع المتكلم عن ايراد القول المهدد.

– أن يصرح بالقول المهدد من غير تعديد يخفف من جانبه التهديدي.

– أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الاضرار بوجهه الدافع.

– أن يصرح بالقول المهدد مع امكانية تعديله ليدفع عن المستمع الاضرار بوجهه الجالب.

[1]– ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص103.

[2]– ينظر: اللسان والميزان التكوثر العقلي طه عبد الرحمن، ص244.

– أن يصاغ القول على سبيل التعريض، بحيث يتيح للمستمع حرية اختيار المعنى الذي يراه مناسبا من بين عدة معان محتملة.

ويترك للمتكلم حرية اختيار أحد هذه الاستراتيجيات ولكن ذلك لا يكون اعتباطاً بل حسب ثلاث قرائن سياقية متغيرة :

– العلاقة الاجتماعية بين المتخاطبين من قرب أو بعد.

– علاقة السلطة بينهما من تقارب أو تفاوت.

– القيود الثقافية التي تستلزمها بيئة مجتمع ما[1].

وما يدل على ذلك المثال الآتي: وهو **طلب فتح الباب** الذي يحلل وفق مبدأ التواجه كما يلي [2]:

– يمتنع المتكلم عن طلب فتح الباب، لأن في هذا الطلب مخاطرة بالوجه تضر به أو تضر المستمع.

– قد يوجه المتكلم طلب فتح الباب إلى المستمع بشكل مباشر من دون لجوءه إلى أساليب التلطف من الأثر التهديدي لهذا الطلب، كأن يقول له "**أطلب منك أن تفتح الباب**".

[1]– ينظر: قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن " دراسة نقدية "،عمر بن قمرة ،ص 50.

[2]– ينظر المرجع نفسه.

– قد يطلب المتكلم من المستمع فتح الباب، مستخدما صيغة تراعي وجهه الجالب، وتظهر له الاحترام والتقدير، كأن يقول له "**هل لك أن تفتح الباب**"

– قد يطلب المتكلم من المستمع فتح النافذة مع التوسل بصيغة تحفظ وجه المستمع الجالب، كأن يقول" **ألا تبادر إلى فتح الباب فقد اشتد بنا الحر**"

– قد يطلب المتكلم من المستمع فتح الباب بطريق التعريض كأن يقول " **إن الجلوس في مكان حار يسبب أذى وازعاجا شديد**" تاركاً لمخاطبه استنباط المعنى المقصود بنفسه.

وقد تم تصنيف الاستراتيجيات إلى خمس درجات للتأدب إذ نستحضر المثال الآتي لتوضيح كيفية الاستفادة من مبدأ التواجه في تحليل الخطاب[1]: ففي سياق الخلاف بين الأختين، جلس الخال مع ابنة أخته، فكل منهما يكن للآخر الاحترام، وليس لأحدهما السلطة على الآخر، وينتميان إلى الثقافة الاسلامية والعربية بما يتيح للقريب أن يشفع لحل الخلافات بين الناس، دون أن يجد حرجا للاستفسار عن مكامن المشكل، ومن المسلم به أن يسأل

الخال ابنة الأخت عن سبب الخلاف وبالتالي تكون له حرية صياغة سؤاله بما يتناسب مع احدى استراتيجيات مبدأ التواجه.

[1]– ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص105

وذلك حسب التدرج الآتي:[1]

– الاستراتيجية الصريحة: وعلى أساسها يسأل الخال ابنة أخته بشكل مباشر وصريح، دون الحاجة إلى استعمال ما يخفف من تهديد وجها ، إذ يسألها: **ما سبب الخلاف؟**

فالخطاب يتصف بالوضوح والمباشرة.

– استراتيجية التأدب الإيجابي: فهنا يظهر الخال احترامه لابنة أخته من خلال استخدامه ألفاظ تخفف

من حدة التهديد، مما يقلل من الأضرار بوجهه إلى أقصى حد كقوله «من عاداتك التي احترمها كثيرا قول الصراحة معي دائما، حتى في أدق خصوصياتك، ومنها اختلافكم في وجهات النظر».

فالقول يتضمن اشارة إلى الفتاة بأن هذا المشكل لن يؤثر على علاقة الخال بابنة أخته .

استراتيجية التأدب السلبي: يستعمل الخال هذه الاستراتيجية لإشعار فتاة بأنه يعترف لها بحقها وبكيانها الخاص، وذلك بقوله «المعذرة، فأنا أود منك أن تخبريني عن سبب الخلاف بينكما»، فتوظيف كلمة الاعتذار في أول الخطاب يوحي بدفع الاضرار بوجهه الدافع ويشعرها بأنها ليست مجبرة على الإجابة إذ ترك لها حرية ذلك.

– استراتيجية التلميح: في هذه الاستراتيجية يلمح الخال إلى ما يود معرفته، تاركاً للفتاة فرصة تأويل الخطاب واستنباط القصد المستلزم بالرغم من أن دلالة هذا الخطاب هي

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص106.

دلالة عامة، إلا أن سياق الخطاب كفيل بإستنباط المعنى المقصود، كقوله «من الصعب إيجاد حلول دون معرفة أسباب المشاكل».

– استراتيجية الصمت: قد يلتزم الخال بالصمت ولا يتحدث عن موضوع الخلاف، لأنه لا يرغب في إلحاق الضرر بوجهه ولا بوجه الفتاة ، مما يضعه في موقف من الحيرة.

2.2 نقد مبدأ التواجه:

بالرغم من الأهمية البارزة التي يحظى بها مبدأ التواجه في تفسير الطريقة التي يتصرف بما الأفراد لغويا لحماية أنفسهم أو الآخرين من الإحراج في التفاعل الاجتماعي، ومع ذلك لم يسلم هذا المبدأ من الانتقادات، إذا أظهرت بعض الدراسات نقصا في فعالية هذا المبدأ من عدة جوانب نوجزها في الآتي:[1]

– يقتصر مبدأ التواجه في توضيح الجوانب غير المهددة التي تنطوي على الأفعال التهذيبية، انطلاقا من افتراض مفاده أن المتكلم يلجأ إلى هذه الأفعال بسبب ما تحمله بعض التعبيرات اللغوية من تهديد، إذ يكمن دور المتكلم هنا في تهذيب تلك العبارات وتخفيف أثرها والتقليل من حدتها التهديدية.

– إن مبدأ التواجه يجعل التهديد هو السمة المميزة للأقوال، ويجعل العمل التهذيبي مقصوراً على التقليل من هذا التهديد، وعليه فإن كان مبدأ التواجه يتفوق على مبدأ التأدب

[1]– ينظر: اللسان والميزان او التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص 245،246.

من حيث تركيزه على الجانب العملي في التهذيب، إلا أنه يظل قاصراً أو محدوداً من جهة إغفاله للبعد التقربي في الأفعال الهذيبية.

– إن التأدب في الخطاب يؤدي إلى إحداث نوع من خداع نتيجة التناقض بين الخطاب الظاهري ومضمونه الباطني «أن التأدب الظاهري في لغة الخطاب، قد لا يكون مؤشراً صادقاً على النوايا التي يبطنها المرسل اتجاه المرسل إليه، إذ قد يبطن الهدف الحقيقي الذي يريد تحقيقه، في حين يظهر الخطاب غير ذلك مما يؤول إلى التأويل الخاطئ للخطاب، ويقود بالتالي إلى الخداع بالتعارض بين وجهي الخطاب الظاهر منه والباطن».[1]

التحليل السابق يقودنا إلى: رغم تركيز مبدأ التواجه على البعد العملي للتهذيب، ويعمل جاهدا على تخطي الإشكالات التي شابت المبدأين السابقين، ومع ذلك فإنه لا يزال محدوداً على ملازمة البعد التقريبي للعمل التهذيبي، ولذلك يتعين التقصي على مبدأ مغاير يتمكن من تغطية الاختلالات والنواقص في هذا المبدأ.

3. مبدأ التأدب الأقصى واعتبار التقرب:

مبدأ التأدب الأقصى أرسى دعائمه "**جوفري ليتش Geoffrey lech** "، والذي عده مدعماً

[1]– استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 108.

لمبدأ التعاون، ويعرضه في صورتين إحداهما سلبية والأخرى إيجابية، وهما:[1]

– السلبية – قلل من الكلام غير المؤدب.

– الإيجابية– أكثر من الكلام المؤدب.

وعلى الرغم من إقرار ليتش بأهمية مبدأ التعاون بإعتباره هو الأساس المفترض لتوجيه طرفي الخطاب، إلا أنه حاول استدراك القصور في مبدأ التعاون المتمثل – حسب رأيه – في إغفاله للجوانب الاجتماعية والأخلاقية والنفسية للتداول ،مما يجعل من مبدأ التأدب جزء أساسياً في عملية التخاطب ،وإلا تقطعت روابط التواصل بين الناس، وهذا يعني في نظره أنه إذا تعارض المبدآن يرجح مبدأ التأدب حفاظاً على الصلات الاجتماعية[2].

1.3 قواعد التخاطب المتفرعة على مبدأ التأدب الأقصى:

ينبثق عن مبدأ التأدب الأقصى مجموعة من القواعد ذات مستويين، سلبية وايجابية ندركها

[1]– ينظر: principles of pragmaties, Geoffrey leech,longman,london, 1983,p79.

[2]– ينظر: قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن" دراسة نقدية"، عمر بوقمرة، ص 52،53.

في المخطط الآتي:[1]

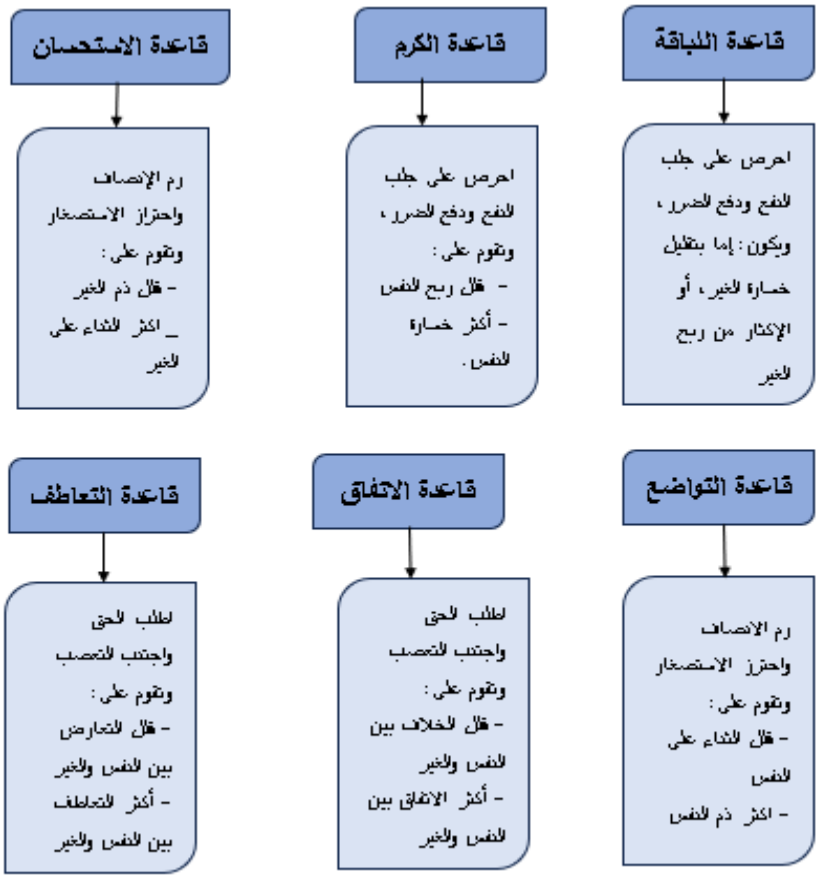

الجدول رقم (03): القواعد المتفرعة على مبدأ التأدب.

وبهذا جعل **ليتش** «قاعدة اللباقة هي القاعدة الرئيسية أما القواعد الأخرى فقواعد متفرقة عنها، ولابد للمرسل أن يلتفت إلى مراعاة غيره، كما يلتفت إلى نفسه في أثناء التلفظ بخطابه».[2]

[1]- ينظر: نظرية غرايس الحوارية " عرض ونقد"، العياشي أدراوي، ص68،69.

[2]- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 112.

بما أن التأدب بعد سمة مشتركة بين طرفي الخطاب أثناء عملية التفاعل، فإنه يتجلى في صورتين متضادتين حيث أن التأدب مع المرسل إليه يؤدي إلى عدم التأدب مع الذات والعكس قد يحدث أيضا.[1]

يعتبر **ليتش** أن هذه القواعد ولا سيما قاعدة اللباقة بمثابة استراتيجيات تهدف إلى تجنب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى نزاع أو يعوق التعاون بين أطراف الخطاب، وهنا يرجح مبدأ التأدب الأقصى على مبدأ التعاون في حال تعارضهما، وذلك لأنه يساهم في الحفاظ على الروابط الاجتماعية التي تعد عنصر أساسيا لضمان استمرارية التعاون وفعاليته بين الأطراف. [2]

ولتوضيح المسألة يسوق "**طه عبد الرحمن**" المثال الآتي:[3]

أ: مدني بمال.

ب: أريد أن تمدني بمال

ج: هل تستطيع أن تمدني بمال؟

د: ليتك تمدني بمال.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 112.

[2]- ينظر: اللسان والميزان او تكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص 247.

[3]- المرجع نفسه، ص247.

النقطة المشتركة بين هذه الجمل هي اقتراض المال، لكن تم طرح الموضوع بطرائق مختلفة فجاءت الجملة(أ) تدل على المعنى المباشر للأمر فكانت نتيجة ذلك أقل لباقة، أما الجملة

(ب) استبدلت الجملة الأمرية بالجملة الخبرية تمنح للمخاطَب حرية الاختيار في تنفيذ ما طلب منه، إذ كانت أكثر لباقة من الجملة التي سبقتها، أما الجملة الثالثة فكانت أكثر لباقة من السابقين لإنها جاءت في صورة استفهام فتتيح للمخاطَب حرية اتخاذ القرار بالقبول أو الرفض، في حين تكون الجملة الأخيرة أكثر الجمل الأربع لباقة، لأنها تظهر عدم طمع المتكلم في وقوع المطلوب ، إذ يفرض على المخاطب قبول ما يرغب فيه، بل يتمنى تحقيق الطلب ويترك له الحرية في اتخاذ القرار.

2.3 النقد الموجه لمبدأ التأدب الأقصى:

وكما هو الحال مع المبادئ الأخرى، لم يسلم مبدأ التأدب الأقصى من الانتقادات والملاحظات التي أثارها باحثون ومن المآخذ التي رصدت بشأنه نعرض ما يلي:

يعتبر ليتش أن قاعدة اللباقة تمثل الدافع الرئيسي لاستخدام المتكلمين لتعبير غير مباشرة إذ جعل من اللباقة درجات، وقد أسس هذا التدرج انطلاق من نموذج الاختيار المستمد من لاكوف، ومن مفهومي السلطة والتضامن كما حددهما لاكوف وليفنسون، مضيفاً إلى ذلك بعدين مهمين يتمثلان في الربح والخسارة في التفاعل التخاطبي، أما القواعد الباقية

فتقتضي سلوكات مؤمنة للمتكلم تفيد حصول عمل تهذيبي متصف بوصف التقرب، فهذا التقرب يشوه الميل إلى التظاهر والنزعة إلى الغرضية . فمقتضى الربح والخسارة لمفهوم اللباقة

والسخاء يقوم على أن الأفعال والأقوال التي يأتي بيها المخاطب تقدر بحسب الفائدة التي تديرها إذ يصبح العمل التهذيبي اشبه بالمعاملات التجارية[1]. فالفعل التخاطبي يكون قائما على أساس تبادل المنافع بين المتكلم والمتلقي ف «تنزل فيها علاقة المتكلم بالمخاطب منزلة المدين بالدائن فالذي يطلب من غيره أمر يكون كمن حصل على (خدمة) منه، والذي يكون قد وقع منه أذى لغيره يكون كمن كان عليه دين الاعتذار حتى إذ عفا عنه هذا الغير، كان عفوه بمنزلة إلغاء لهذا الدين».[2]

ومن هذا المنطلق وجب البحث عن مبدأ يكون قائماً على أساس الصدق والعمل ويخلو من المصالح والأغراض الشخصية.

4.مبدأ التصدق واعتبار الصدق والاخلاص:

[1]– ينظر: : اللسان والميزان اوتكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص248.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص249.

سعى **طه عبد الرحمن** إلى بلورة مبدأ جديد سماه "**مبدأ التصديق**" ليعالج من خلاله أوجه القصور التي لاحظها في المبادئ السابقة إذ اعتبرها غير كافية، فأستنبط هذا المبدأ من التراث الإسلامي باسم "مجال التداول الإسلامي العربي" ،ومضمونه:" لا سبيل إلى تقويم الممارسة التراثية مالم يحصل الاستناد إلى مجال تداولي متميز عن غيره من مجالات

بأوصاف خاصة ، ومنضبط بقواعد محددة يؤدي الإخلال بيها إلى آفات تضر بهذه الممارسة"[1].

وقد اتخذ هذا المبدأ صور مختلفة منها (مطابقة القول للفعل) و(التصديق العمل للكلام)، يمكننا أن نصوغ هذا المبد أ على النحو الآتي:[2]

لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك.

يستند هذا المبدأ على عنصرين اثنان:

(نقل القول) و(تطبيق القول)، فالأول ما تعلق بالجانب التبليغي في عملية التخاطب، أما الثاني ما تعلق بالجانب التهذيبي منها

1.4 القواعد المتفرعة عن مبدأ التصديق:

[1]– تجديد المنهج في تقويم التراث ،طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء ،المغرب ،ط2، 2015، ص243.

[2]– ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،طه عبد الرحمن، ص 249.

1.1.4 في جانبه التبليغي: يتضمن جملة من القواعد المتمثلة في:[1]

- ينبغي للكلام أن يصدر عن بحث يقتضي جلب منفعة أو دفع ضرر.

- يجب على المتكلم أن يضع كلامه في موضعه المناسب، مع الحرص على اغتنامه الفرصة المناسبة لتحقيق الهدف المطلوب.

- ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.

- يجب أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به.

يقر **طه عبد الرحمن** أن مجمل هذه القواعد في جانبها التبليغي تتكامل في إطار مبدأ التعاون وتفريعاته ما عدا قاعدة الكيف التي لا تندرج في هذا الإطار وفق تصوره، وتصاغ هذه المقابلة على النحو الآتي:[2]

- فالقاعدة الأولى تقوم مقام مبدأ التعاون، والقاسم المشترك بينهما أن كليهما يشترط تحديد هدف معين للمخاطبة، وإذ خلت المخاطبة من هذا الهدف كانت بإصلاح الماوردي (هجراً) أو(هذياناً).

أما القاعدة الثانية تقابل قاعدة الملاءمة التي تقتضي أن يكون لكل مقام مقال يناسبه.

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص 249.

[2]- ينظر: في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي، أنمار إبراهيم أحمد، ص 112.

– تقوم القاعدة الثالثة مقام قاعدة الكم التي تقتضي الاكتفاء بما هو ضروري في الخبر، فإذا خرج الكلام عن ذلك الكلام بالتقصير سميَّ عند الماوردي (حصراً)، في حين إذا خرج عنها بالتكثير سميا عنده (هذراً).

– أما القاعدة الرابعة تقوم مقام (الجهة)، فهي تشترط مراعاة صحة المعاني، وفصاحة الالفاظ واتباع أساليب الوضوح، فإذا خرج الكلام كان مختل المعنى مستغلق اللفظ.

2.1.4 في جانبه التهذيبي:

يتفرع عن مبدأ التصديق في بعده التهذيبي ثلاث قواعد رئيسة يمكن تلخيصها في

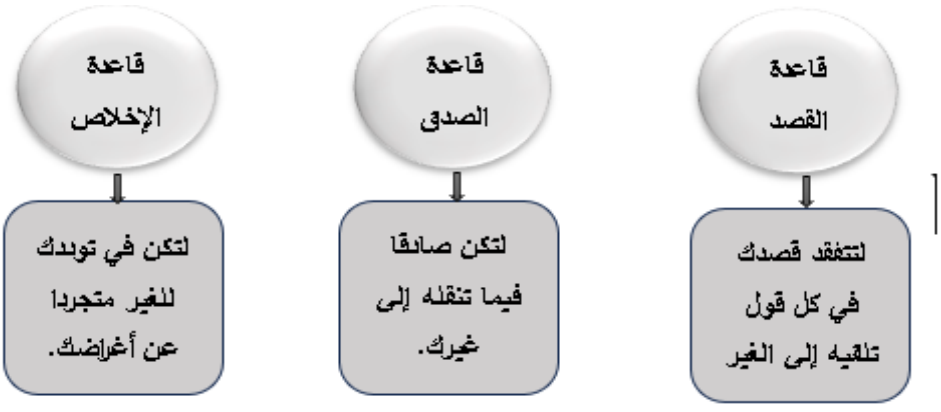

القواعد المتفرعة عن مبدأ التصديق في جانبه التهذيبي.

المخطط الآتي[1]:

وإذا نظرنا في هذه القواعد التهذيبية، لاحظها أنها تنطوي على مضامين مشتركة مع ما تقرر في قواعد التأدب والتواجه، غير أن طه عبد الرحمن تميز في معالجته لها باجتناب أوجه القصور فيها.

فحوى القول، نظراً لما تعانيه المبادئ التخاطبية. – سابقة الذكر – من نواقص في الإحاطة بجوانب الفعل التخاطبي أدى إلى تحريض **طه عبد الرحمن** في صياغة مبدأ التصديق الذي يقوم على ثلاث اسس: القصد والصدق والإخلاص. ويهدف تحقيق الترابط بين القول والفعل.

تقوم مبادئ التخاطب على تفرع من التفاصيل فيما بينها وهذا ما وضحه **طه عبد الرحمن** في قوله:

«وقد وضحنا أن هذه المبادئ تتفاضل فيما بينما تفاضلا في مبدأ التأدب بفضل مبدأ التعاون بتقعيده للجانب التهذيبي، ومبدأ التواجه يفضل مبدأ التأدب بتعرضه لعنصر العمل من الجانب التهذيبي، ومبدأ التأدب الأقصى يفضل مبدأ التواجه الوقوف على وظيفة التقرب من الغير التي يؤديها العمل، ومبدأ التصديق يفضل مبدأ التأدب الأقصى،

[1]– ينظر: نظرية غرايس الحوارية (عرض ونقد)، العياشي أدراوي، ص 72.

لأنه يقوم بشرطي التقرب من الغير وهما: الصدق والإخلاص، فيكون بذلك أفضل المبادئ وأكمها جميعا».[1]

بناء على ما سبق، بعد مبدأ التصديق من أرفع مبادئ التخاطب وأكملها، إذ يمثل أساسا جوهريا في الكثير من الممارسات التخاطبية في التراث العربي الإسلام، إذ تبرز اهميته في تعزيز المصداقية والثقة في التفاعل التخاطبي، إذ لا يقتصر فقط على مستوى التصريحات الظاهرة بل يمتد إلى بناء قاعدة اخلاقية تؤكد على صدق النوايا.

خلاصة ما سبق عرضه:

- انطلق غرايس من تحليله للمعنى من فكرة أساسية مفادها أن ما يفهم في الخطاب لا يقتصر على ما ينطق بل يتجاوز ذلك إلى ما يستنتج ضمنياً، وجعل من هذا التباين محوراً أساسياً تقوم عليه نظرية الاستلزام التخاطبي

- تستند العملية التخاطبية على خلفيات معرفية وسياقية يشترك فيها المتخاطبون، حيث يفترض وجود قواعد ضمنية تنظم التفاعل وتضمن نجاح التواصل.

- وضع بول غرايس مبدأ عاماً يعرف بمبدأ التعاون، بإعتبار: قاعدة عامة تنظم عملية التفاعل اللغوي بين المتحدثين، مفترضا أن طرفي الخطاب يتعاونون بشكل واعٍ لتحقيق تواصل فعال.

[1]- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص 253.

- يندرج تحت مبدأ التعاون كما حدده بول غرايس أربع مقولات أساسية تنظم طبيعة التفاعل اللغوي. أولها مقولة الكم، التي تقضي من المتكلم أن يقدم مقدارا مناسبا من المعلومات دون زيادة أو نقصان، أما مقولة الكيف فتركز على قول الصدق وتجنب كل ما هو كاذب أو غير مدعوم بأدلة كافية، وتأتي مقولة الملاءمة تؤكد على ضرورة ارتباط القول بسياق الحديث، في حين تدعو مقولة الجهة على وضوح التعبير واجتناب الإبهام والغموض.

- رغم أن مبدأ التعاون الذي اقترحه" بول غرايس " قد فتح آفاقاً واسعة ،أمام الدراسات التداولية، إلا أنه لم يسلم من النقد، الأمر الذي أدى على ظهور مبادئ مكملة تهدف إلى تجاوز الثغرات التي شابت هذا المبدأ.

الفصل الثاني:
آليات الاستلزام في رواية
السادة الأنذال

توطئة:

تتخطى التداولية المقاربات الشكلية للغة. حيث لم تعد تقتصر على تحليل البنية النحوية فحسب، بل تتوجه نحو دراسة التفاعلات الخطابية التي تكشف عن نوايا المتكلمين وأهدافهم، فاللغة لم تعد قاصرة على نقل المعلومات فقط، بل تعدت ذلك لتصبح ممارسة فعلية تتشكل فيها المعاني بناء على استلزامات تخاطبية تتعلق بتوقعات المتكلمين وتفاعلتهم مع بعضهم البعض في العملية التخاطبية.

وهذا ما ينطبق على رواية السادة الأنذال للسعيد بوطاجين، إذ تعد واحدة من الأعمال الأدبية التي امتازت بتعقيداتها السردية العميقة على مستوى البناء اللغوي والتفاعلات الثقافية والاجتماعية والسياسية بين الشخصيات، مما جعلها ميدان خصب لدراسة الاستلزام التخاطبي فيها، إذ يعد أحد الأدوات المحورية التي تسهم في إضافة أبعاد دلالية متنوعة للنص، يشير الاستلزام التخاطبي في الرواية إلى جملة من المعاني التي لا يتم التعبير والافصاح عنها بشكل مباشر، بل يتم الإيحاء إليها عبر التفاعلات اللفظية. بين الشخصيات، فالاستلزام يعد آلية لفك شفرات النص المضمرة والكشف عن التوترات بين الشخصيات مما يعكس الصراعات الداخلية التي يعايشها الأفراد في مواجهة الضغوط النفسية والاجتماعية.

لذلك نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تحليل الاستلزام التخاطبي **لبول غرايس** في رواية السادة الأنذال، مع التركيز على كيفية انزياح المعنى من الحرفي إلى الضمني، وتأثير الخرق التداولي على التأويلات النقدية التهكمية في النص. من خلال هذا التحليل نسلط الضوء على العلاقة المتشابكة بين اللغة والسلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية التي تقود تصرفات الشخصيات.

المبحث الأول: السعيد بوطاجين والسادة الانذال سيرة مؤلف وماهية مؤلف:

أولا: سيرة مؤلِف

السعيد بوطاجين هو أستاذ جامعي وكاتب وقاص وروائي وناقد ومترجم جزائري، ولد في السادس من يناير عام 1958م، في تاكسنة بولاية جيجل، يعد من الوجوه البارزة في المشهد الثقافي الجزائري ، إذ جمع بين الإبداع السردي، والترجمة والنقد الأدبي ،حصل على ليسانس في الآداب من جامعة الجزائر عام 1981م. ثم على دبلوم الدراسات

المعمقة من جامعة السوربون الفرنسية عام 1982م . ونال على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الجزائر في مجالي النقد الأدبي والمصطلح والترجمة على التوالي[1].

شغل مناصب أكاديمية وإعلامية ، منها: التدريس في عدة جامعات جزائرية منذ أوائل الثمانينيات. كما لعب دوراً محورياً في المشهد الثقافي من خلال مساهماته النقدية، وتحمل مسؤوليات التحرير ابرزها : رئاسة تحرير مجلة الثقافة، وتميز خطابه بجرأة فكرية ونبرة تهكمية حادة ، كآ داة للكشف عن المفارقات الثقافية والفكرية في المجتمع الجزائري .

وأصدر عدداً من الأعمال السردية منها:

- اللعنة عليكم جميعا .
- أحذيتي وجواربي وأنتم .
- وفاة الرجل الميت .
- ماذا حدث لي غداً.
- بداية الزعتر.
- للأسف الشديد.
- جلالة عبد الجيب .

[1]- hacentilanichaine. 10.05.2025. 13:33

- نقطة إلى الجحيم .

- السادة الأنذال .

كما ترجم العديد من الأعمال الأدبية منها :

- رواية الانطلاع الأخير لمالك حداد .

- رواية عش يومك قبل ليلك لحميد قرين.

- أدين كل شيء للنسان لـ : مليكة مقدم.

وغيرها من الترجمات التي أسهمت في ثراء المكتبة الجزائرية[1].

نال جوائز وتكريمات عدة، تقديرا لدوره في تنشيط الخطاب الثقافي الجزائري منها :

- وسام الاستحقاق الثقافي الوطني في قسنطينة عام 1991م.

- وسام الفنان في الجزائر العاصمة عام 2004 م

- الدرع الوطني للثقافة في البويرة عام 2006 م [2].

لم يكن بوطاجين مجرد كاتب، بل صنف ضمن أبرز الكُتَاب الجزائرين الذين وفقوا في توظيف

---

[1]- المرجع نفسه.

[2]- Web Tv Fll. bouira. 10/05/2025- 14:30

السرد الأدبي ، كآداة نقدية تعمل على تفكيك الأوضاع المتأزمة التي أثقلت كامل الفقير والمثقف والمفكر الجزائري، فقد انطوت كتاباته على وعي نقدي عميق واتسمت خطاباته السردية بطابع السخرية والتهكم، يتجاوز كونه مجرد اسلوب ليتحول إلى استراتيجية نقدية تبحث في أغوار الواقع الاجتماعي والسياسي بكل تناقضاته وتعقيداته[1] فهذه النزعة التهكمية

لا تكتفي بإثارة الانتباه بل تمنح النص طابعا دلاليا متشعباً يفسح المجال التأويلات متعددة تتجاوز حدود القراءة السطحية ، تستدعي قارئاً متفاعلاً قادراً على تفكيك المستويات الخفية في الخطاب .

ثانيا : ماهية مؤلَف :

عندما تلبيس الخيانة ثوب السلطة والهيبة، يصبح السقوط الأخلاقي امرا معتادا ، يفقد الوجود الإنساني توازنه الداخلي. في هذا السياق لا يغدو الأدب مجرد انعكاس للواقع، بل يصبح أداة نقدية حادة تفضح الانكسارات الداخلية للذات، وتكشف زيف المعايير التي تحكم السلوك الاجتماعي ، إذ يتحول المجتمع عندئذ إلى مسرح تمثيلي ترتدي فيه الأقنعة لستر وإخفاء العورات والهفوات .

[1]– ينظر: النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، إيمان طبشي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة.

من هذا المنطلق نجد الكاتب والروائي السعيد بو طاجين ينزع الغطاء عن ذلك الواقع المتردي في روايته السادة الأنذال، إذ صاغ فيها ملحمة رمزية مع تساءل ضمير المجتمع العربي، وتفضح تحولات الإنسان تحت وطأة السلطة والمال ، بلغة ساخرة وبناء سردي

متحرر من القيود التقليدية، حيث يرسم الكاتب عالما مضطربا تنهار فيه القيم أمام زحف الانتهازية والخيانة[1].

تتناول الرواية قضايا الفساد والاستبداد وفقدان الهوية ، إذ سلطت الضوء على تهميش الكفاءات وتدجين المثقفين ، وصعود الأنذال إلى مراكز السلطة والنفوذ ، ومن خلال هذا التمثيل الساخر والمرير تبرز الرواية البنية العميقة للفساد والعبث الاجتماعي ، إذ تكشف عن هشاشة المعايير الأخلاقية في مجتمع يسوده النفاق وتسيره المصلحة.

اختار بوطاجين أن ينسج روايته وفق تقنيات سردية حديثة، موظفاً تعدد الأصوات ليخلق تنوعاً في زوايا النظر، ويقدم للقارئ مشهداً متداخلاً تتقاطع فيه رؤى متناقضة

[1]– ينظر قراءة موجزة في رواية السادة الأنذال للسعيد بوطاجين، حسين عبروس https://tieob.com 15/05/2025 17 :04

تعني أفق التأويل . أما لغة الرواية فهي مزيج بين السخرية المريرة والرمزية الحادة، حيث تتحول الكلمات فيها إلى أداة فضح وتعرية، فاتخذ من اللغة وسيلة مقاومة ضد زيف الواقع المتردي[1].

لا تصمد الأقنعة المزيفة طويلاً ، فتنهار الصور المثالية. للسادة الذين يفترض فيهم حمل شعلة القيم الاخلاقية ، تتحول هذه الشخصيات من رموز القيادة والشرف إلى كيانات تلهث خلف الملذات وتغرق في دوامة النفاق . وفي هذه الرواية يكشف المستور عن هذه الشخصيات لتظهر صورهم الحقيقية ، وبهذا تصبح الرواية عبارة عن مرآة تعكس هشاشة القيم وتناقصاتها داخل المجتمع ، حيث يبدو الفرد عاجزاً عن التمسك بمبادئه وسط طوفان الفساد ، فيتحول الإنسان في هذا العالم المضطرب إلى كائن مشوه نصفه قناع ونصفه خيانة[2].

تتخطى سخرية بوطاجين في هذه الرواية التسلية والتنفيس، لتصبح فعلاً تأويلياً ينتج المعنى عبر الخرق ، ويوظف الاستلزام التخاطبي ليفضح ما يخفيه الواقع من هشاشة وعبثية.

ومن هذا المنطلق تمارس السخرية كفعل تداولي ذا طابع أخلاقي تستدرج القارئ نحو أفق تأويلي لا يكفي بـ تلقي الخطاب الظاهري بل يطالب بتفكيكه وإعادة تأليفه عن طريق إدراك التوتر القائم بين ما يقال صراحة : وهو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها

[1] – ينظر: المرجع نفسه.

[2] – ينظر: المرجع نفسه.

اللفظية ، وما يستلزم : فهو القصد الذي يريد المخاطب أن يبلغه للمتلقي على نحو غير مباشر[1]، و بهذا يتحول الخرق التداولي إلى وسيلة سردية تكشف عن الزيف القيمي، وبهذا لا تعد الرواية مجرد نقد اجتماعي ، بل تفعل آليات الاستلزام والخرق التداولي تولد تأويلاً دلالياً يدفع القارئ إلى مساءلة الوجوه المتعددة للخطاب الأخلاقي الزائف.

المبحث الثاني: خروج عن قوانين الخطاب في الرواية:

تعد رواية السادة الأنذال للروائي السعيد **بوطاجين** من الأعمال الأدبية التي تتميز بالعمق الدلالي والتداولي، فالرواية تحمل معانٍ ضمنية متعددة مما يتيح لنا فرصة تحليلها وفق منظور تداولي، استناداً إلى قواعد التخاطب الغرايسية، التي تتعلق بتنظيم وتوجيه التفاعلات اللغوية فهي تفرض على المتخاطبين في العملية التخاطبية أن يسهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل الأقوال، واقترح غرايس أربع قواعد تتفرع عن مبدأ التعاون وأطلق عليها اسم حكم المحادثة[2] (الكم، الكيف، الملاءمة، الجهة)،

[1]– ينظر القصدية التواصلية في النص الساخر وترجمتها إلى اللغة . الإسبانية ، زهية بوكان ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة أبو قاسم سعد اله الجزائر 2 ، معهد الترجمة 2019/ 2020.ص 63.

[2]– ينظر: قواعد مبدأ التعاون التخاطبي عند "غرايس" بين الالتزام والاختراق، فتيحة بن زرام ويوسف بن زحاف، مجلة لغة–كلام/مختبر اللغة والتواصل/المركز الجامعي–غليزان–(الجزائر)، المجلد06،ع06،2020،01،03،ص332.

إن الخرق المتعمد لهذه القواعد الأربعة يخدم أهدافاً سردية وأخلاقية، ويؤدي إلى بناء معانٍ ضمنية مرتبطة بالنقد الاجتماعي والأخلاقي في النص، فإن انتهاك لهذه القواعد تجعل من الفعل التخاطبي آداة للكشف عن الصراعات الخفية وابراز التوترات الأخلاقية والاجتماعية الكامنة في النص.

واستناداً إلى ما سبق، نسعى إلى تقديم نماذج منتقاة تبرز مظاهر خرق هذه الظواهر، نستعرضها فيما يلى:

أولا: خروج عن قاعدة الكم :

تقوم هذه القاعدة على كمية المعلومات التي يجب توفرها، وتقوم على قاعدتين:

- يجب أن تكون مشاركتك تفيد على قدر ما هو مطلوب ولا أكثر مما هو مطلوب من أجل تحقيق أغراض التخاطب[1]

ففي الرواية نجد العديد من مواطن انتهاك هذه القاعدة إما بتقديم معلومات أكثر من الحاجة، أو بإخفاء معلومات ضرورية، مما يولد آثاراً تداولية كالتهكم والسخرية، ويسعى هذا التحليل إلى الكشف عن كيفيات خرق قاعدة الكم داخل الرواية ومن الامثلة التوضيحية ما يلي:

النموذج الأول:

[1]– ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فاخوري: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1 ،2013،ص16.

«نهض جدي باكرا وأيقظني لنصلي صلاة الجماعة أو صلاة الاثنين، أو صلاة الواحد وقليلا لأني كنت ملخصا في حجم شطيرة[1]»

نلحظ بشكل واضح في هذا المثال خرقاً لقاعدة الكم وذلك يظهر جلياً من خلال عدم تقديم المتكلم المعلومة الدقيقة حول نوع الصلاة، بل ذكر "صلاة الجماعة أو صلاة الاثنين، أو صلاة الواحد"، فتعدد هذه الصيغ يحمل التباساً في الفهم. يبدو أن الراوي يسخر أو يستهزئ، وذلك من خلال تلاعبه بالألفاظ مثلا (صلاة الجماعة تتطلب أكثر من ثلاثة

أشخاص، وصلاة الاثنين قد تشير إلى وجود شخصين، في حين يشير الواحد إلى الانفراد)، مما يوجي ضمنيا رفضه للاستيقاظ إلى الصلاة.

النموذج الثاني:

«سأغسله اليوم، ابن الكلب، سأقول له مالم يقله له أحد من سنين، سأخرج ما في قلبي من مرارة، ما خبأته من سنين ولم أبح به، هناك حدود للخيانة[2]»

يتجلى الخرق الظاهري لمبدأ الكم من خلال الإفراد في تقديم معلومات مكثفة وتفصيلية تتجاوز الحد الأدنى المطلوب لفهم الموقف. يمكن اعتبار هذا الخرق توظيفاً

[1]– المدونة، ص5.

[2]– المدونة، ص9.

بلاغيا ينتج استلزاماً تخاطبياً، يراد من خلاله التعبير عن شدة الألم والخيانة التي تعرض لها المتكلم، فهذا الكم الزائد من المعلومات يتجاوز النقل الحرفي للمعلومة إلى ايصال رسالة شعورية أقوى.

النموذج الثالث:

«ستجد في البلدية من هو أخطر من الذئب التافهون، من خيانة إلى خيانة[1]»

المتكلم هنا لم يحدد من هم "التافهون "، ولا يفصح عن هوياتهم أو على مهامهم في البلدية، ولم يوضح طبيعة تلك الخيانة، إذ اقتصد وشح في المعلومات، ففي عباراته تعميم على كل من في البلدية، مما يجبر المتلقي على سد الثغرات للوصول إلى المعنى المراد،

بسبب هذا النقص في المعلومات يستنتج أن المتكلم يتعمد على الإيحاء بدلاً من الإفصاح، وذلك خشية الرقابة أو تجنباً للاتهام المباشر، وبهذا يخرق المتكلم مبدأ الكم، مما ينتج عنه استلزام تخاطبي يدرك المستمع بأن هناك مسؤولين في السلطة يمارسون الخيانة خفية.

[1]– المدونة، ص15.

وعليه فإن محدودية تقديم المعلومات تسهم في استنباط معنى ضمني يتجاوز ما هو منطوق، مما يؤدي إلى اثراء العملية التخاطبية وذلك من خلال استخدام الإيحاءات لا التصريحات.

النموذج الرابع:

«هذه هي البلدية اللعينة حيث يجتمعون ويكذبون علينا، هنا يسكن الذئب والكوبرا، وهنا عش الدبابير[1]»

المتكلم قدم كماً كبيراً من المعلومات المليئة بالدلالات السلبية مثل: "الذئب" الكوبرا"، " هنا يصنع الشر"، "عش الدبابير"، دون توضيح منه من هم المعنيون فعلاً فهذا يؤدي إلى خرق لمبدأ الكم من جهة الإفراط، فالسامع لا يحتاج إلى هذا القدر من المعلومات ليدرك الفكرة الأساسية بأن البلدية يغزوها الفساد والكذب والخداع، كما أن هذه العبارة تفتقر إلى المعلومات الكافية من جهة أخرى، إذ لم يقدم المتكلم شرحاً مفصلاً عن طبيعة الخداع، أو من هم الأشخاص المعنيين، وهذا ما يخالف مبدأ الكم.

النموذج الخامس:

«متى زرت الصحراء؟، ربما ذهبت إلى هناك قبل شهور قليلة من اغتيال أسعد، إن كان ذلك صحيحا[2]»

[1]– المدونة، ص17.

[2]– المدونة، ص36.

هذه العبارة تظهر أن المتكلم لا يقدم كمية كافية من المعلومات، فإجابته ناقصة وغير مكتملة لم يحدد وقتاً معيناً لتاريخ الزيارة، إذ يخالف بذلك توقع السائل الذي ينتظر منه إجابة محددة على السؤال، وهذا ما يوحي بأن المتكلم لا يتذكر بدقة تاريخ زيارته للصحراء، أو ربما يتعمد عدم إعطاء إجابة دقيقة، فالمتكلم يخرق مبدأ الكم لأنه لم يقدم المعلومات المطلوبة بشكل كاف، ينتج عن هذا الخرق استلزاماً تخاطبياً يؤدي إلى ابهام وغموض.

النموذج السادس:

«كانت النفس تقول إنهم منشغلون بالمدح والغزل والتصفيف والمؤامرات، وبمكاسبهم وما ملكت إيمانهم بالجمبري والنميمة والنظريات النفاثة في العقد والثياب التي يستوردونها ليصبحوا مهمين في هذه الغابة البشرية الخانقة[1]»

في هذه العبارة يتضح جلياً بأن المتكلم لا يقتصر على تقديم معلومة موجزة، بل يقدم كماً زائداً من التفصيل فمنها ما هو عاطفي (المدح والغزل) واجتماعي (النميمة)، ومظهري (الثياب المستوردة والعقود)، فالمتكلم لا يقصد بهذه العبارات الإخبار أو التوضيح

[1]– المدونة، ص60.

بل يستخدمها كوسيلة تهكمية ساخرة، فهذا الحرق لمبدأ الكم يحفز القارئ على الربط بين العناصر المتناثرة ليكتشف أنها رموز تمثل نقدا ساخراً لمجتمع لا تهمه سوى المظاهر دون أن يكون لهم دور حقيقي في بناء المجتمع.

النموذج السابع:

يعيش الراوي في رواية السادة الأنذال حالة من التمزق الداخلي نابعة من ماضٍ مثقل بالخذلان والخيانة يسعى جاهداً إلى استعادة السيطرة على ذاته، ويظهر ذلك جلياً في هذه العبارة:

«علي أن اغلق منافذ الذكريات واكنس البال من ملفاتهم التي لم تعد تعنيني بعد الانهيار الذي قوض راحتي[1]»

ففي هذا القول يمكننا ملاحظة أن المتكلم يقدم قدراً من المعلومات يبدو أكثر مما يقتضيه المقام ،فبدلاً من أن يقول مثلا :" سأنسى ما مضى" أو " سأتجاوزهم " يستخدم تعبيراً محملاً بالتفاصيل ، فذا التراكم الدلالي ينتج عنه خروج عن قاعدة الكم من حيث الإفراط في كمية المعلومات، لكنه خرقٌ مقصود له دلالة تداولية عميقة ،مما يغرق القارئ في صور بلاغية واستعارية مكثفة (الغلق والكنس والملفات...)

إذ تعبر عن رغبة في تطهير الذات من أعباء الذاكرة المؤلمة.

[1]– السادة الأنذال، السعيد بوطاجين، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جيجل الجزائر، (بلا، ط) ،2024،ص70.

النموذج الثامن:

«اما الملتحون فيشبهون فيروس كرونا لأنهم لا يتسببون لك سوى في ضيق التنفس وتدمير الرئتين والدورة الدموية، هؤلاء كهؤلاء، كل منهم يشعل النار بأريحية، كلهم فيروسات، إن نجوت من أنياب هؤلاء وقعت بين أنياب الاخرين[1]»

يأتي هذا القول ضمن سياق سردي ساخر، يتأمل فيه السارد واقعاً اجتماعياً وسياسياً مأزوماً، إذ يعتبر نفيه أنه محاصر بين سلطتين احداهما دنية متشددة تمارس الهيمنة ا لأخلاقية باسم الدين، والأخرى سياسية تمارس القهر باسم الحداثة.

فالنص هنا ينطوي على مبالغة واضحة وتشبيه عنيفاً، وهو أكثر من اللازم على مستوى المعلومات المنقولة ،فالراوي هنا لا يكتفي بالإشارة إلى موقف سلبي، بل يفرط في تقديم صفات منبوذة يتحلى بيها الطرف الآخر مثل:(ضيق التنفس وتدمير الرئتين والدورة الدموية)، فهذا الكم الزائد يشير إلى خرق لمبدأ الكم فلا يفهم على أنه مجرد إفراط لغوي، بل يؤدي وظيفة تأويلية بشكل مقصود بوصف الآخر كعدو وبائي خطير.

النموذج التاسع:

«كيف وصل إلى ذلك ما دام مجرد عريف بسيط؟ [...] رجل في القصر ورجل في جبل الأوحال، رجل في البلد ورجل خارجه، السند والممد والعدد والقدرة على مسح أحذية سادتهم هنا وهناك، الرخويات تدعم الرخويات بالأيدي وبالأرجل والاظافر والأنياب[2]»

[1]– المدونة، ص89.

[2]– المدونة، ص171.

يمكن القول بأن المتكلم الثاني في هذا الحوار يخرق قاعدة الكم التي تنص على تقديم القدر المناسب من المعلومات، فعوضاً عن تقديم إجابة مباشرة حول كيفية وصول العريف البسيط إلى مكانة مرموقة، يلجأ المتكلم إلى الإفراط في تقديم المعلومات، فالرد هنا يغرق المتلقي في بحر من التراكيب المجازية لتفتح أمامه باب التأويل باعتباره ضرورة تداولية، يستنتج من خلالها أن المتكلم يصوغ جملة من التلميحات والانتقادات الساخرة من النظام القائم الذي يقوم بترقية الموظفين على حسب الولاء والخضوع لا باعتبار الكفاءة والاستحقاق

وهكذا يصبح خرق قاعدة الكم وسيلة للتأويل الأخلاقي، فالمعنى الحقيقي لا يعطى في الكلام الظاهري، بل يستنتج من ثنايا الخطاب وما يحمله من مجاز ورمزية.

النموذج العاشر:

«-هل الفندق مريح؟

– كثيرا جدا، فندق بسيط بزخرفته الإسلامية القديمة، وزاهد بأقواسه التي منحته استقامة خاصة بالتقليل من الأعمدة الداعمة التي تفسد جمال العمارة الجديدة وتجعلها صناديق موحشة، وغير قابلة للسكن لأنها مناوئة للنفس والروح[1]»

يظهر جلياً في جواب المتكلم الثاني خرقاً لقاعدة الكم التي تنص على أن يقدم المتكلم القدر المناسب من المعلومات، ففي هذا السياق كان السؤال مباشراً "هل الفندق مريح؟" ، يتوقع أن يكون الجواب موجزً وبسيطاً كان يقول نعم إنه مريح جدا، إلا أن المتكلم قدم وصفاً تفصيلي لصفات الفندق الجمالية والمعمارية والروحية ، فهذا التوسع في الكم يعد مقصودا يولد استلزام تخاطبي مفاده أن الراحة في هذا الفندق لا تقتصر على راحة الجسد فقط، بل تتجاوز ذلك إلى راحة نابعة من الشعور بالسكينة والهدوء، وبهذا فإنا خرق لإحدى مبادئ التعاون يؤدي إلى إيصال المعنى الضمني ويوسع أفق التأويل.

ثانيا: خروج عن قاعدة الكيف:

قوامها **«كن صادقا ولا تقدم معلومات خاطئة، أو معلومات لا تستطيع أن تبرهن على صحتها[2]»**

[1]– المدونة، ص235.

[2]– الاستلزام الحواري عند بول غرايس – المفهوم والمقومات سمية عامر، ص28.

فهي إحدى الركائز الأساسية في بناء التخاطب، فخرق هذه القاعدة سواء عبر الكذب، أو المبالغة أو السخرية يؤدي إلى تحفيز آليات استلزامية تمكن من تأويل المعنى على نحو غير مباشر، وفي رواية "السادة الأنذال" يتجلى خرق قاعدة الكيف بوصفه أداة جمالية وتأويلية ، تتجاوز المعنى الظاهري لتفضح القيم الاخلاقية والاجتماعية في السلطة، إذ يوظف **بوطاجين** أشكالاً متنوعة من المفارقة الساخرة والكذب مما يحفز القارئ على التمييز بين ما يقال حرفياً وبين مايراد كشفه، إذ يصبح خرق الكيف في هذه الرواية وسيلة لتمثيل الانهيار القيمي في مجتمع تقتل فيه الحقيقة تحت وطأة النفاق والمصلحة الشخصية. ويتضح ذلك في الأمثلة الآتية:

النموذج الأول:

«لم يفكر ثانية واحدة ورد علي بأننا سنأخذ معنا سي البغل الذي لا أحد يشكك في نضاله وبطولاته، نلبسه بردعته الجديدة التي اقتنيناها قبل أسبوع من سوق القرية. لغرض لم أتنينه إلا بمشقة[1]»

المتكلم يخرق مبدأ الكيف عن قصد، ويظهر ذلك من خلال عبارته " لا أحد يشكك في نضاله وبطولاته" فهي أو صاف تسند عادة إلى البشر لا إلى الحيوانات، غير أن المتكلم يتعمد هذا الإسناد غير المألوف، في خرق ظاهري لمبدأ الكيف فهو لا ينبع من الجهل أو

[1]– المدونة، ص6.

الخطأ. بل يوظف بلاغيا لتوليد دلالة ساخرة تسهم في خلق استلزام تخاطبي تدفع بالمتلقي إلى التأويل بما يتجاوز المعنى الحرفي في عبارة "سي البغل "، باعتبار يمثل فئة اجتماعية أو يمثل دلالات تتصل بشخصيات تشبه هذا البغل في تحمل المعاناة بصمت، وعليه فإن هذا الخرق المتعمد لمبدأ الكيف لا يضعف المعنى، بل يعد من أبرز سمات الخطاب التلميحي الذي يولد دلالات غير مباشرة.

النموذج الثاني:

«تغسل من يا جدي، ولماذا، هل ستغسله بالملح والنخالة أم بالرماد، كما تفعل جدتي عندما تغسل أسنانها في النادر[1]»

العبارة تخالف مبدأ الكيف إذ تتضمن أقوالا غير واقعية وذلك من خلال قوله "هل ستغسله بالملح والنخالة أم بالرماد؟، فالسؤال هنا لم يطرح بجدية لأنه من غير المألوف. مما يخلق نوعا من الاستلزام التخاطبي، يفهم السامع من خلالها أن المتكلم لا يتحدث حرفياً، بل يوصل رسالة غير مباشرة مفادها أن فعل الجد مبالغ فيه. فهذا الخرق لا يفهم

[1]– المدونة، ص9.

على أنه عشوائي، بل يستخدم كآداة تنتج استلزاماً تخاطبياً مفاده أن الفعل المستهدف بالسؤال محط سخرية.

النموذج الثالث:

«حلوف، حلوف كبير، انظر يا جدي هذا غول يريد أن يدهسنا، غول ونص[1]»

ففي هذه العبارة لا يوجد أي دليل على أن الذي يتم الحديث عنه هو "حلوف" في الحقيقة، فالمصطلح هنا يستخدم مجازياً لتأكيد على حجم الوحشية، وفي عبارة "غول و"غول ونصف"، فهذه الكلمات تتجاوز الحقيقة الواقعية، فالمتكلم لا يصرح بما هو صحيح ومنطقي بل يستبدل الحقيقة بالمجاز أو الخيال لتوصيل فكرة التهديد والذعر.

وعبارة "يريد أن يدهسنا "، ففي هذا الجزء يوجي إلى الخطر، مما يزيد من احتمالية كونه غير واقعي، وعليه فإن المتكلم يخرق مبدأ الكيف عن عمد حيث لا يلتزم بالحقائق الواقعية بل يستخدم أخرى خرافية، إذ يهدف إلى ابراز حجم الخطر وزيادة الشعور بالتهديد والانفعال مما يؤدي بالمتلقي (الجد) إلى التخيل.

النموذج الرابع:

« ستلتقي اليوم بالثعالب والثعابين و مكتب رئيس البلدية ، وستكتشف أن الثعالب والثعابين أفضل وانظف منهم [2]»

---

[1]- المدونة، ص13.

[2]- المدونة، ص16.

يتضح أن المتكلم لا يلتزم بمبدأ الكيف، إذ لا يمكن تأكيد صدق العبارة التي تقوم على المقارنة بين البشر والكائنات حرفيا، فهذه العبارة تحمل رسالة ضمنية مفادها: أن من في مكتب رئيس البلدية أشخاص فاسدين وخبثاء بدرجة فاقت مكر الثعالب وسم الثعابين، وهنا خرق المتكلم مبدأ الكيف عن قصد فينتج عنه خلق استلزام تخاطبي بغرض السخرية، إذ يوحي بأن هناك فساد اخلاقي وإداري في مكتب رئيس البلدية، دون تصريحه بذلك مباشرة.

النموذج الخامس:

«صادقت دعسوقة ظلت تحدثني عن حياتها المريرة في مزارع النخيل التي ذبلت منذ هجرها الفلاحون هربا من المسلحين الذين كانوا يهجمون عليها بالبنادق وأعواد الثقاب[1]»

استعار المتكلم أفعالاً بشرية وأسندها إلى الدعسوقة مثل: تحدثني، والتعبير عن معاناة الحياة، وهو مالا يتوافق مع الواقع ولا يمكن تصديقه، فالحشرات بطبيعتها لا تملك القدرة على الكلام والتعبير عن تجاربها ومعاناتها في الحياة، لأن المتكلم يقدم معلومات لا يمكن تصديقها، ولا يملك دليلا يبرهن عليها، فخرق إحدى قوانين مبدأ التعاون يحفز

[1]– المدونة، ص58.

القارئ على البحث عن معنى ضمني للعبارة، ويبدو من خلال هذه العبارة أن الراوي يريد إيصال

رسالة ضمنية مفادها أن المأساة والمعاناة طغت في الأرض حتى الحيوانات والحشرات تعاني منها

النموذج السادس:

«كانت الورود تستيقظ مرعوبة، وكانت الأزهار تتناول المهدئات لتصل إلى المساء دون أن تصاب بسكتة قلبية أو جلطة دماغية، باستثناء أزهار القمر التي كانت مثل المعلم فرويد[1]»

تأتي هذه العبارة في الرواية ضمن سياق سردي يعكس حالة من القلق والاضطراب النفسي، حيث صوَّر الراوي الورود والأزهار كأنها كائنات حية تعاني من الخوف والفزع تضطر لتناول المهدئات كي تتجاوز يومها دون انهيار. ويتجلى في هذه العبارة خرق واضح لقاعدة الكيف كما حددها بول غرايس والتي تقوم على: ألا يقول المتكلم ما يعتقد أنه كاذب، وما يفتقر على دليل كاف عليه[2]، فالمخاطب هنا يسند أفعالاً

[1]– المدونة، ص154.

[2]– ينظر: ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، ليلى كادة، المجلد:01، العدد:01، 2009.03.01 ،ص105.

وانفعالات لا يمكن نسبها إلى النباتات، غير أن هذا الخروج عن المألوف لا يعكس خللاً في كفاءة المتكلم، بل يوظفه كآلية تداولية مقصودة تهدف إلى تصوير وضع نفسي مختل ومضطرب.

النموذج السابع:

«اجتمعوا في سوق بودا التي لم تذهب شوارعها وأرصفتها إلى الحلاق منذ سنين. ولم تتعطر ولم تعرف الطبول وأعراس الجن والعبيد[1]»

استخدم الراوي هذه العبارة لتصوير سوق بودا كفضاء مهجور ومهمل فقد حيويته وجماله، فالأسواق لا تعبر فقط عن مكان تجاري مادي، بل تعبر عن حالة اجتماعية وثقافية متدهورة غابت فيها مظاهر البهجة والاحتفالات، فالعبارة هنا تخالف قاعدة الكيف حيث تسند فيها صفات بشرية إلا مكان جامد، فهذا الخرق مقصود يولّد استلزاماً تداوليا يدفع بالقارئ إلى تأويل عميق لحالة تدهور وانكسار التي تعيشها المجتمعات

النموذج الثامن:

« الرصاص لغة الانذال واللصوص وذوي العاهات[2] »

تعكس هذه العبارة واقعاً مشحوناً بالعنف، حيث ينعدم الأمن وتتدهور البنى الاجتماعية في هذا الواقع، فيصبح الرصاص ليس مجرد أداة بل هو لغة متداولة بين

[1]– المدونة، ص168.

[2]– المدونة، ص205.

الفئات المنحرفة التي تستبدل الحوار والقانون بالقوة والعنف. وتتضمن العبارة المذكورة خرقاً وضحاً لقاعدة الكيف، فالقول بأن الرصاص يمثل لغة الأنذال واللصوص وذوي العاهات فلا يفهم بوصفه قولاً خبرياً، بل يوظف بوصفه آلياً تداولية يراد منها توليد استلزام تخاطبي يعيد

التأويل، إذ اعتبر أن الرصاص رمزاً للعنف وهو علامة على الجبن والانحراف الأخلاقي وليس تعبيراً عن القوة والشجاعة.

النموذج التاسع:

«كان الشيطان تلميذا غبيا ينهل منهم، وكانوا أذكى منه وأكثر بغيا، لكنهم ظلوا يصلون في الأعياد ويحتلون الصفوف الأولى خاشعين كالزهاد القدامى وهم لا يحفظون البسملة[1]»

من غير المتوقع والمنطقي أن يكون الشيطان تلميذاً لغيره، وليس هناك من هو أكثر بغياً من الشيطان نفسه ، فهذا يشير إلى أن المتكلم لا يقصد المعنى الحرفي ،بل يقدم ادعاء غير واقعي ظاهرياً ، فالمتكلم يخرق قاعدة الكيف عن قصد إذ يقدم معلومات غير قابلة للتصديق حرفياً ، فهذا الخرق يحفز المتلقي إلى البحث عن المعنى المستلزم ،

[1]– المدونة، ص252.

فالمتكلم لا يقصد أن الشيطان تلميذ حقيقة ، بل يريد إيصال معنى ضمني مفاده أن هؤلاء الأشخاص فاقت درجة بغيهم حتى الشيطان فأصبح غبياً وأبله أمامهم ، أو أن الشيطان نفسه يتعلم منهم المنكر والشر والبغي ويدعون الصلاح والإيمان. فالخرق التداولي لقاعدة الكيف في هذه الجملة ليس اعتباطاً، بل يخلق استلزاماً تخاطبي نقدي.

النموذج العاشر:

«السياسة هي أن تتعلم الكذب على الناس، أن تسرق ولا تشيع، أن تقتل بذكاء كبير ثم تقتنع مع الوقت أنك شخص فاضل وبريء، تقنع الرعية بأنها مذنبة، بأنها سليلة الأبطال، بأنها أفضل أمة في التاريخ، وبأنك ملاك لا يريد لها سوى الخير[1]»

يلاحظ أن المتكلم يطلق أحكاماً معممة على السياسة، بوصفها عملاً يقوم على السرقة والكذب والقتل، مما يجعله يبدو وكأنه خرق لمبدأ الكيف عمداً، فهو لا يمتلك دليلاً يثبت صدق هذه الأحكام، فالمتكلم يقدم معلومات غير صادقة واقعياً، لكنه لا يفعل ذلك بهدف الخداع والتضليل، بل يستعمل التهكم والسخرية ليكشف القناع الذي يختبئ وراءه السياسة، فهذا الخرق يتماشى مع التلميح التداولي الذي يتطلب من المتلقي أن يكون فطناً ليفهم المعنى المستتر.

[1]– المدونة، ص259.

ثالثا: خروج عن قاعدة الملاءمة :

وتسمى بقاعدة العلاقة، قوامها: أن يجعل المحاور كلامه ذا علاقة مناسبة للموضوع، أي مناسباً للسياق العام[1]، فخرق هذا المبدأ يحدث عندما يتكلم شخص بطريقة لا تبدو مرتبطة بالسؤال المطروح يتولد عنه استلزاماً تخاطبي، مما يدفع السامع إلى البحث عن

معنى أعمق. وفي رواية السادة الأنذال **لسعيد بوطاجين** توظف خرق هذا المبدأ بوصفه وسيلة سردية تكشف عن الأزمات النفسية والانهيارات الأخلاقية لشخصيات، فالخروج عن الكلام لا يؤدي إلى فشل التواصل، بل يفتح آفاق دلالية تكشف عن عمق الاضطراب الداخلي والهروب من المواجهة.

يمكننا تبيع تجليات خرق مبدأ الملاءمة في الرواية، وتحليل وظائفه التداولية والدلالية عبر استنباط واستقراء نماذج حوارية تكشف عن كيفية تحول هذا الخرق ومن نماذجه نذكر ما يلي:

النموذج الأول:

[1]– ينظر: قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن – دراسة نقدية، عمر بوقمرة، مجلة أمارات في اللغة والادب والنقد، مجلد: 05،العدد:02،ص45.

«قلت إن كانت الجدة هي ثالثتنا أم كلبنا دي غول الذي كان يرافقني إلى الوديان والجبال بحثا عن الماعز[1]»

تمثل هذه الجملة خرقاً صريحاً لقاعدة الملاءمة لأن المتكلم يقدم معلومات تبدو غير متصلة بالسياق الظاهر للكلام، لا يفهم ما الرابط الذي يجمع بين (الجدة، كلينا، ديغول) والحديث عن المرافقة إلى الوديان والجبال للبحث عن الماعز يبدو منفصلاً عن الفكرة الرئيسية "ثلاثتنا" وتوظيفه اسم "دي غول " يحدث ارتباكاً دلالياً، لأنها تعود إلى شخصية

سياسية معروفة فهذا التداخل بين أجزاء الجملة يجعل المتلقي غير قادر على تتبع المعنى أو استنباط المراد من هذه العبارة بسهولة.

النموذج الثاني:

«لا تبحثوا عن الموز الهندي في الكراريس المغبرة، ولا في الشعر العذري الذي ينام في الحرير[2]»

في هذه العبارة المتكلم يتحدث عن أشياء تبدو غير مترابطة، إذ ينتهك المتكلم قاعدة العلاقة بشكل ظاهر، ويستخدم تراكيب مجازية وصوراً بعيدة عن السياق الذي

[1]– المدونة. ص6.

[2]المدونة. ص62.

وردت فيه، مما ينتج عنه غموضا، فهذا الانتهاك لم يأتي عبثاً بل هو خرق مقصود لقواعد المخاطبة من أجل توليد استلزاماً تخاطبياً يحمل معنى خفي، فعلى القارئ أن يؤول العبارة ليستنبط منها المعنى المقصود ويكشف عنها. وهكذا يتبين أن انتهاك قاعدة العلاقة هنا ليس خرقاً لتواصل، بل هو فعل تداولي مقصود لإنتاج دلالة إيحائية تخرج من البنية الحرفية للقول إلى المعنى ضمني يسهم في ثراء النص.

النموذج الثالث:

«- ولماذا لا تريد أن تبرأ ياعمي؟، هل أعجبك هذا المشفى الذي لا يليق حتى بفترات المنازل؟

- أعجبتني زياراتكم اليومية، وأعجبني الشاي بالنعناع على الجمر، لذلك قررت تمديد إقامتي هنا إلى أجل غير مسمى[1]»

في ظاهر الأمر يبدو أن المتكلم الثاني لا يلتزم بمبدأ الملاءمة، فجوابه لا يجيب بشكل مباشر على السؤال المزدوج الذي طرحه المتكلم الأول، والمتعلق بسبب عدم رغبته في الشفاء وحديثه عن سوء بيئة المشفى، إذ يحول الحديث إلى موضوع غير متوقع: الزيارات اليومية، والشاي بالنعناع دون الإشارة الصريحة إلى حالته الصحية أو ظروف إقامته في المشفى.

[1] - المدونة. ص62.

يعكس انتهاك مبدأ الملاءمة قدرة المتكلم على إعادة توجيه مسار الخطاب، فهو يتهرب من الإجابة المباشرة على السؤال المطروح مما يتيح للمخاطب تأويل القصد ضمنياً.

النموذج الرابع:

«- أين تباع الأكفان يا عمي؟ [...] أريد كفنا لي، يبدو أن نهايتي قريبة، لا أشعر بالأمن معهم، إنهم يطاردونني في كل مكان. أشعر أنهم يتعبونني.

- ماذا تقول، هل جننت؟ [...]، ما بك؟ لا تقنط من رحمة الله، تفاءل خيرا تجده، ما يكون غير الخير[1]»

في هذا الحوار نلاحظ ما يمكن تصنيفه كخرق لقاعدة الملاءمة، فبدلا من أن يجيب المتحدث الثاني عن السؤال بشكل مباشر، أي عن مكان بيع الأكفان، فالسؤال هنا لا يفهم بوصفه سؤالا حقيقيا يبحث عن الإجابة، بل يتم تأويله بإعتباره مؤشرا على اليأس والرغبة في الموت أو الانتحار.

كما نجد أن رد المتحدث الثاني يوحي بأنه تجاوز المعنى الحرفي للسؤال إلى تأويل بوصفه تعبيراً عن اليأس، وبالتالي قدم له دعماً نفسياً ومعنوياً.

[1] - المدونة. ص64.

النموذج الخامس:

« – هل ارتكبت جريمة ؟

– سير تكبون جريمة في حقي، ولن أعرف من سيفعل ذلك، أنا خائف، لكني لست حزينا، لم يبق في جسدي مكان للحزن، أنا لا أعرف معنى الجريمة، هم الذين يقررون[1] »

تستدعي الإجابة عن فعل الجريمة بشكل مباشر إ ما: نعم أولا، إلا أن المتكلم يبتعد عن الإجابة المباشرة التي تخص السؤال، ليقدم إجابة غير مرتبطة بشكل واضح بالسؤال المطروح. ففي هذه الإجابة تظهر تباينا بين السؤال الذي طرح وبين ما يود المتكلم إيصاله من شعور بالخوف. فهذا يشكل خرقا لقاعدة الملاءمة مما يفتح الباب لتساؤلات وتأويلات حول من يملك السلطة في ارتكاب الجرائم.

النموذج السادس:

«ولماذا أخرج من هنا؟ لأرى الوراقين والملتحين والفضائيين وأسمع ما تقوله الأحزاب التي تنبت كالفطريات لتنهب وتغرب وتخرب وتندب وتهرب؟ [...]

– العملية الجراحية إن لم تظهر أعراض اخرى، لو حدث أن أجريتها هنا لكنت من الغابرين، قلبك أفضل مما كان عليه قبل شهور، بقيت أعصابك التي تحتاج الى راحة[2]»

---

[1]– المدونة. ص64.

[2] – المدونة. ص67–68.

الجواب لا يتضمن تصريحاً مباشراً عن سبب الخروج من المستشفى، بل ينتقل المتكلم للحديث عن نجاح العملية، ونجاح القلب ومخاطر إجراء العملية في المقابل كان يتوقع المتلقي جوانبا مباشراً يبرر سبب خروجه، كأن يقول له مثلا:

– لأن حالتك تحسنت أو أن بقاءك لم يعد ضرورياً، وهذا ما ينتج عنه خرق القاعدة الملاءمة باعتبار أن الجواب لا يبدو مرتبطاً بشكل مباشر بالسؤال المطروح.

وعليه فإن المتكلم لم يصرح بالجواب بشكل مباشر ليدفع المتلقي إلى تأويل إضافي ينتج استلزاماً تخاطبياً يتجاوز المنطوق الصريح.

النموذج السابع:

«لا تنس تناول أدويتك في الوقت المحدد [...] سأتناوله هذا المساء في الثامنة صباحا أو في حدود الرابعة فجرا[1]»

يخرق المتكلم الثاني مبدأ كن "ذا صلة" لأن جوابه لا يقدم تأكيداً صادقاً ومنطقياً حول توقيت تناول الدواء، فعدم الاتساق الزمني بين "هذا المساء" وفي "الثامنة بما صباحا" يخلق تناقضاً زمنياً يزيد من التشويش ولا يقرب المعنى، فهذا الخرق هنا يبدو متعمداً لا يفسر على أنه عجز في الفهم، بل ينتج عنه استلزاماً غير مباشر يؤدي هذا

[1]– المدونة. ص67–68.

الخرق إلى انزياح المعنى من المستوى الظاهري: (تحديد وقت تناول الدواء) إلى مستوى ضمني مفاده :(إما أن المتكلم لم يأخذ تذكير الطبيب على محمل الجد أو أنه يحتج بشكل ساخرا). وهنا تكمن فاعلية خرق قاعدة الملاءمة إذ تعمل على انتاج معنى غير مباشر يفهم بالتأويل التداولي.

النموذج الثامن:

«الفناك هنا، نادرا جدا ما عثرنا على إنسان بهذه القدرة على التحمل والسخرية من كل شيء، أتصور حجم الألم. أتصور كيف عانيت من الانهيار العصبي ومن ضيق التنفس ومن العمليات، وتساءلت كثيرا عن مصدر قوتك.

- يقول الأجداد إذا ضاقت بك الدنيا لا تقل يارب عندي هم كبير، بل قل يا هم عندي رب كبير[1]»

يبدو أن المتكلم الثاني يخرق مبدأ الملاءمة بشكل واضح من خلال رده على السؤال " تساءلت كثيراً عن مصدر قوتك "، بالمثل الشعب إذ لا يقدم إجابة مباشرة عن السؤال الذي طرح عليه، فكان المتلقي يتوقع إجابة تفسر مصدر التحمل والصبر، إلا أن

[1] - المدونة. ص88.

الرد لا يستجيب بشكل مباشر لهذا التوقع، إذ يفسر الرد ضمنياً على أنه تلميح إلى أن مصدر القوة ليس مرد شخصياً، بلا روحي نابع من الإيمان بالله.

وعليه فإن الخرق الظاهري لمبدأ الملاءمة يعتبر وسيلة للتأويل الأخلاقي، حيث يسهم في فهم البعد النفسي والروحي للمتكلم، مما يحول الحديث عن الألم إلى تأمل في القوة الإيمانية

النموذج التاسع:

«هل عثروا على مخططات شكسبير؟ [..] يجب إصلاح الكلوسيم، الكلوسيم قضيتنا جميعا نحن التعساء الذين لا وظيفة ولا قيمة ولا مدارس ولا وجود، تحن ضحايا الفتنة وضحايا الجغرافيا، مع ذلك فنحن مستعدون، أطفالا ونساء وشيوخا وشبابا وإبلا وجمالا للتضحية بأرواحنا من أجل حياة الكلوسيم[1]»

لا توجد صلة مباشرة أو حتى مجازية بين مخطوطات شكسبير والكلوسيم أو معاناة الناس، ما يجعل المتكلم يبدو وكأنه يتجاهل السؤال تماما، فهذا الخرق بوصفه مقصودا

يؤدي إلى استلزام تخاطبي يؤول بأن الحديث عن مخطوطات شكسبير لا معنى لها، فالموضوع الحقيقي الذي يتطلب اهتماماً كبيراً هو معاناة الناس وما يعيشونه من فقر

[1] – المدونة. ص101.

وبؤس، فهذا الخرق لقاعدة الملاءمة لم يأتي اعتباطاً بل يعتبر أداة تداولية تهدف إلى الدعوة للاهتمام بالقضايا الاجتماعية كالفقر، البطالة، الجوع والبؤس بدل من الانشغال بالرموز الثقافية.

النموذج العاشر:

«كيف سمح لنفسه بخيانة الماء والملح، ولماذا كذب علينا؟

– أنتم فقراء ومهمشون ولا وزن لكم في هذه الجغرافيا، أما الآخرون فيحمونه ويمنحونه مالا ورعاية ويعدونه بالعسل الصافي، هذا بدل ما في الأمر يا سادة[1]»

يفترض أن يكون الجواب على السؤال الأول حول الدافع وراء الخيانة والكذب، إلا أن المتكلم ينتقل فجأة إلى خطاب اجتماعي يتحدث فيه عن الفقر والتهميش، وبهذا يتحول الخرق إلى آداة لتأويل، إذ يعرف الخيانة على أنها ناتجة من إنحيار المسؤولين لمن يملكون المال والقوة والرعاية، ويتخلى عن الطبقة الفقيرة المهمشة لأنهم لا يملكون شيئا. فهذا الخروج عن مسار الخطاب يمنح الكلام طابعاً أخلاقياً وتأويلياً، فالمتحدث لا يبرر فعل الخيانة بل يكشف عن الظلم ولا عدالة في المنظومة السياسية التي ولد من رحمها الذي يبيع الناس

طمعاً.

رابعا: خروج عن قاعدة الجهة:

[1] – المدونة. ص170.

تعد القاعدة الرابعة من القواعد الغرايسية فإن «**ما يميزها عن القواعد السابقة كونها لا ترتبط بما قيل، وانما بما يراد قوله والكيفية التي يجب أن يقال بها، الهدف منها تجنب الاضطراب والملل والإيجاز المخل في القول، فهي اذن ترتبط بالقاعدة الأساسية التي يعبر عنها ب (التزم الوضوح)**[1]»

فخرق قاعدة الجهة عند **بول غرايس** في إطار نظرية الاستلزام التخاطبي، يشير إلى استخدام المتكلم أسلوباً غامضاً غير مرتب، أو مبهماً عمداً، مما يخل بالوضوح والتسلسل المنطقي الذي يحكم الخطاب.

وفي رواية **السادة الانذال للسعيد بو طاجين** ، يمكن توظيف هذا النوع من الخرق بوصفه آلية سردية توصل معاني خفية، خاصة إذا كان الراوي أو الشخصية يتحدث بلغة مشحونة بالإيحاء والتهكم والسخرية.

ويظهر ذلك جليا من خلال الأمثلة الأتية:

النموذج الأول:

«**نهضت نائما كما يليق بولد مشمئز، وصليت ساكتا وغاضبا لا أكاد أميز بين الأشياء التي بدت، لي متداخلة كأطراف الليل البهيم**[2]»

يتضح من خلال هذا النص خرقاً متعمداً لهذه القاعدة، فالجملة تحتوي على عبارات تحمل دلالات غير محددة مثل: (كما يليق بولد مشمئز وصليت ساكتاً وغاضباً)،

[1]– نظرية غرايس الحواري–عرض ونقد، العياشي ادراوي، ص64.

[2]– المدونة. ص5.

فهذه الدلالات تفتح المجال لتأويلات متعددة مما يعق فهم المتلقي للمعنى الظاهري، كما نجده أيضا استخدم عبارات متناقضة أو غير واضحة مثل (نهضت نائما)، فالغموض هنا يوحي إلى الحالة النفسية المضطربة التي يمر بها المتكلم. ويفهم هذا المعنى من السياق العام للجملة، وبهذا يتحول خرق قاعدة الجهة إلى وسيلة للتعبير عن المشاعر الداخلية بشكل غير مباشر.

النموذج الثاني:

«أخبرني بعد أن كدت أستيقظ قليلا بأن علينا، نحن ثلاثتنا الذهاب إلى القرية باكرا لأمر يهمه ويهم التاريخ والجغرافيا وكل الوعول التي لا ذكر لها في الكتب[1]»

يمثل هذا الخطاب خرقاً متعمداً لقاعدة الجهة، حيث يقدم المتكلم رسالة غامضة وتظهر من خلال استعماله ضمير الغائب في (يهمه)، إذ لم يذكر المتكلم من هو المقصود، مما يربك السامع، امتازت ألفاظه بعدم التنظيم والترتيب ويظهر ذلك جلياً من خلال انتقاله من أمر يهمه إلى التاريخ والجغرافيا ثم إلى الوعول، فهذا ما يجعل الجملة غير مرتبة من حيث المعنى، مما يؤدي إلى اللبس في الفهم، فهذا الخرق قصده الراوي ليعبر عن فكرة أعمق.

النموذج الثالث:

[1]– المدونة. ص6.

«كنت محاطا ووحدي، إلى أن فاجأني الرمل وناسه وتحف الباعة المتجولين الأفريقيين والنخلة وسوق بودا وجامعها وأقواسها وأعشابها وتوابلها التي تجلل المحلات الفقيرة وتمنحها هوية[1]»

من خلال التحليل التداولي وفق قاعدة الأسلوب في نظرية مبدأ التعاون، يظهر أن النص يخرق القاعدة التي تدعو إلى الوضوح في التعبير، يتضح في بداية العبارة أن المتكلم يعبر عن عزلته ووحدته إذ يفتح الباب لتأويلات كما نجده يوظف ألفاظ متنوعة مثل: (الرمل وناسه والنخلة وسرق بودا وجامعها أقواسها وأعشابه وتوابلها..) مما يضفي على العبارة طابعاً غامضاً، فالبنية الخطابية غير مرتبة، ولا وجود لترابط منطقي بين العناصر.

بناء على ما سبق، يتضح أن النص يخالف قاعدة الجهة من حيث الغموض، وغياب الترتيب المنطقي، معتمداً على بناء دلالي يستدعي التأويل والتحليل.

النموذج الرابع:

«هذا أثر الرصاصة؟

الرصاصة بريئة ونظيفة، هذه آثار الشاعر أو الوراق الكبير أو اللحية الطويلة أو الطرطور الصغير، كانت رصاصة فاشلة ومسكينة، اخترقت العظم الوجني بغباء ولم تصعد قليلا

[1]– المدونة. ص59.

باتجاه الجمجمة التي لم يكن فيها أي شيء مهم يمكن القضاء عليه أو التخلص منه لسبب غامض[1]»

يتبين أن المتكلم يخرق قاعدة الجهة التي تتسم بالوضوح، والاختصار وتجنب الغموض والالتباس، ليجعل منها أداة تعبيرية عن فوضي داخلية، ففي قوله: رصاصة بريئة ونظيفة، إذ أسند صفات أخلاقية وإنسانية إلى الرصاصة، مما يفتح المجال لتأويلات وتوقعات المتلقي وتوظيفه العبارات من قبيل (الشاعر، الوراق الكبير اللحية الطويلة، الطرطور الصغير) يعكس غموضاً مقصوداً، فهناك تداخل بين هذه العبارات دون وجود رابط منطقي يجمعها.

يظهر في هذا الحوار خرق لقاعدة الجهة نتيجة الغموض وعدم التنظيم، فهذا يشير إلى أن المتكلم لا يتبع الترتيب أو الوضوح المطلوبين، مما يعكس حالة من التشتت والاضطراب الداخلي لدى المتكلم حيث ينحرف عن وضوح المعنى والترتيب المنطقي في التعبير.

النموذج الخامس:

[1]– المدونة. ص116.

«- وما هي وظيفة هذا المخلوق حتى يعتدي علينا، هل ظلمناه؟ هل أسأنا إليه أو جرحناه؟ هل جوعناه أو خذلناه؟

- قد يكون مجرد جندي بسيط برتبة عريف أو رقيب في الدائرة المشؤومة، وحمار أجرب يحملون عليه الأثقال عندما ينتهي من تأدية مهامه القذرة[1]»

طبقاً لقاعدة الجهة من نظرية غرايس يمكن القول بأن هذا الخطاب يخالف هذه القاعدة بشكل معتمد، ويظهر ذلك جلياً في طرح عدة أسئلة متتالية، مما يجعل الكلام متشابكاً إلى حد ما ويبتعد عن الإيجاز والترتيب، فهذا الأسلوب الانفعالي تخلق نوعاً من الغموض إلى أن هذا الخرق يبدو مقصودا لأغراض تداولية يسعد حد من خلالها المتكلم إلى ابراز وحشية العدوان

أما المتكلم الثاني فقد رد على سؤال واحد وترك الأسئلة الباقية بلا جواب، نجده استخدم صور ساخرة يجمع بين (العسكرية والحيوانية) بطريقة تخرق الوضوح وتنتج تركيباً دلالياً مشوشاً، فهذا الأسلوب الإيحائي يشير إلى أن المعتد. ليس فاعلاً حراً، بل مجرد آلة في هيئة قمعية تستغله كوسيط لتنفيذ أوامر تفوق إرادته.

وعليه فإن الخرق في هذا السياق يستخدم بوصفه استراتيجية تأويلية تقوم بإعادة بناء المعنى الأخلاقي للحدث.

النموذج السادس:

[1]- المدونة. ص171.

«الحمقى هم طعام الحرب، أما صناع الحرب فلا تتجاوز. عبقرياتهم حدود الكرش، تلك حكمتهم[1]»

تعد هذه العبارة مثالاً دالاً على خرق قاعدة الجهة كما صاغها بول غرايس في نظريته والتي تقوم على: كن واضحا ومنظماً، تجنب الغموض وخاطب الناس على قدر عقولهم وتخصصاتهم[2]. غير أن المتكلم في هذا السياق ينتهك هذه القاعدة عن قصد، فالمعنى الظاهري في هذه العبارة غير منطقي، ويستنبط منها معنى إيحائي مفاده أن أغلب من يضحى بيهم في الحروب هم من البسطاء والفقراء إذ يعتبرون وقودها الأساسي بينما القادة تكمن دوافعهم في الجشع والطمع والمصلحة الشخصية . فهذا الخروج عن المألوف يسهم في إثارة المتلقي وتحفيز قدرته على قراءة تأويلية ناقدة للأوضاع السائدة.

النموذج السابع:

«أما الزلزال الذي قدم معهم فسحب الكرسي، وجلس دون احتراث، كما يفعل رعاة البقر، تعرفت عليه من ملامحه[3]»

الخرق المتعمد لقاعدة الجهة يعد أداة تداولية تولد دلالات ضمنية، يتمثل أول خرق لهذه القاعدة في وصف الشخص بالزلزال، فهذا التوظيف المجازي يجبر المتلقي على

---

[1]– المدونة، ص232–233.

[2]– ينظر: الاستلزام الحواري عند بول غرايس " المفهوم والمقومات"، سمية عامر، ص28.

[3]– المدونة. ص274.

الخروج من المعنى الحرفي نحو التأويل، مما يدل على غموض متعمد في الأسلوب، ويقصد بهذا الوصف إيحائياً أن دخول هذا الشخص لم يكن عادياً بل مثير للقلق والاستفزاز، لا تهدف الجملة هنا إلى الإخبار عن الحدث فحسب بل تحمل معنى ضمني غير مصرح به،

فالقارئ يدرك ضمنياً أن هذا الشخص كان تصرفه مستفزاً وغير مبالي بالقيم الاجتماعية والآداب العامة.

النموذج الثامن:

«إن السلطنة كانت مبنية على الرمل منذ نشأتها، من الفوق إلى الأسفل، من المسجد إلى الملهى[1]»

العبارة لا تدل على معناها الحرفي للعمران، بل توحي إلى هشاشة الدولة وعدم استقرارها، فالمتكلم غير واضح في تفسيره، فهذا الخرق للجهة يحمل دلالات ضمنية متمثلة في نقد السلطنة التي تقوم على أسس غير ثابتة، وأن كل مستوياتها الإدارية من أعلاها إلى أسفلها فيها خلل وحتى مؤسساتها الدينية والترفيهية ومن القداسة إلى الانحراف لم تسلم من هذا الخلل.

[1]– المدونة. ص277.

فهذا الخرق التنظيمي في العبارات ليس نقص في الكفاءة التعبيرية، بل يعد استلزاماً تخاطبياً يضفي نبرة تحكمية.

صفوة القول ومحصول الحديث أن رواية **السادة الأنذال لسعيد بوطاجين**، يتجاوز فيما خرق قواعد التخاطب مستوى التلاعب اللغوي ليصبح استراتيجية سردية مقصودة،

تحمل القارئ مسؤولية الكشف عن الفساد والانحلال القيمي داخل السلطنة، فالرواية لا تقدم خطابها بشكل مباشر أو تقريري، بل يوحي وتلمح معتمدة على تقنيات لغوية وسردية تسمح بانزياح المعنى عن سطحه الظاهر، مما يدفع القارئ إلى التأويل وللوصول إلى المقصود، أما خرق مبدأ التعاون في الرواية يشكل إحدى الآليات الجوهرية التي تقوم على تفكيك الخطاب الظاهري والكشف عن التوترات العميقة بين الشخصيات، فخرق قاعدة الكم مثلاً لا يكتفي بتقديم معلومات ناقصة أو زائدة. بل يتحول إلى آلية لإبهام المعنى، مما يترك ثغرات سردية تملأ بتأويل القارئ، أما خرق قاعدة الكيف، فيظهر من خلال المفارقة والصدق الزائف والتضليل لا سيما في الحوارات التي تخفي نوايا الشخصيات خلف خطابات خادعة، يستثمر في الكشف عن الاقنعة، أما خرق قاعدة الملاءمة، يعمل على خلق قطيعة بين ما يقال وما يفترض أن يقال، مما ينتج عنه فوضى منطقية، في حين يعمل خرق قاعدة الجهة على إقحام الفاظ عجيبة وغريبة وانزياحات.

فهذه الخروقات التداولية لا تخل بالتواصل اعتباطاً، بل تعمل على توسيع آفاق التأويل الدلالي والأخلاقي، مما يعكس موقفا نقدياً من فساد السلطنة، وانهيار المؤسسات وانفصال القول عن الفعل، فكل خرق تخاطبي داخل الرواية هو في جوهره إحالة على خرق أخلاقي يجعل من الرواية الميدان الخصب للكشف عن الكذب والخداع والفساد.

الخـاتمـة

نصل في ختام دراستنا إلى مجموعة من الملاحظات والنتائج لعلى أبرزها:

- يعد الاستلزام التخاطبي أحد المفاهيم الأساسية في التداولية، إذ يعنى بتحليل معنى الكلام وكيفية بناءه في السياقات التفاعلية بين المتحدثين والمستمعين.

- تبرز هذه ظاهرة الاستلزام الدور الحيوي الذي تؤديه السياقات الاجتماعية واللغوية في تحديد وتفسير المعنى.

- تقوم نظرية الاستلزام التخاطبي على التميز بين ما يقال صراحة، وما يفهم ضمنياً من فحوى الخطاب، فالمعنى المنطوق هو ذلك اللفظ الخاضع لقواعد اللغة بينما المعنى الضمني يتولد من السياق الذي قيل فيه.

- ينخرط المتخاطبون في العملية التواصلية بناء على مجموعة من القواعد الضمنية غير المصرح بها إذ يشكل أساس التفاهم بينهم.

- صاغ بول غرايس مبدأ أساسياً يعرف بمبدأ التعاون وانطلق من افتراض مفاده أن المتخاطبين يتعاونون ضمنياً فيما بينهم لتحقيق مقاصد التواصل، وقد قسم غرايس هذا المبدأ إلى أربعة قواعد فرعية: (مبدأ الكم) الذي يقوم على تقديم القدر المناسب من المعلومات دون افراط أو تفريط، أما (قاعدة الكيف) تنص على قول ما هو صادق ومدعوم بأدلة تثبت صحته، وتقوم (قاعدة الملاءمة) على الالتزام بموضوع الحديث وعدم الخروج عنه، أما (قاعدة الجهة) تعمل على التعبير بوضوح وتجنب الغموض والابهام.

– رغم أن مبدأ التعاون الذي قدمه غرايس يعتبر نقطة تحول في الدراسات التداولية، إلا أنه لم يسلم من النقد إذ انبثقت عنه عدد من المبادئ التكميلية التي تهدف إلى توسيع أفق التحليل التداولي، واستدراك النقائص التي شابت هذا المبدأ، ومن بين هذه المبادئ نجد ما اقترحته (روين لاكوف) التي قدمت (مبدا التأدب)، إذ تؤكد على أن المتحدثين لا يسعون فقط إلى التفاهم بل إلى تجنب المواجهة أو الإحراج، إلا أن هذا المبدأ لم يسلم من النقد أيضا ، فقد تداركا (بنلوب براون) و(ستيفن ليفنسون) في (مبدأ التواجه) ، الذي يقوم على حرص المتحدثين بالحفاظ على الوجه الاجتماعي لطرفين من خلال تجنب الأفعال التي تعدد استقلالية الوجه الآخر ومكانته، وقد طور ليتش (مبدأ التأدب الاقصى) الذي يعتبر أن اللغة ليست مجرد آلية لنقل المعلومات ، بل تسعى أيضا لبناء علاقات اجتماعية قائمة على الاحترام والتقدير المتبادل . كما سعى طه عبد الرحمن على بلورة مبدأ تداولي قائم على أسس أخلاقية وروحية مستمدة من الثقافة الإسلامية، فهذا المبدأ يجعل من الخطاب أداة للتهذيب إذ يشترط في القول إن يكون صادقا، نافعاً، محفزا على الخير.

– رواية السادة الأنذال ليست مجرد عمل روائي ساخر، بل تعد رؤية إبداعية لزمن تخفى فيه القيم خلف اقنعة المصالح، ويظهر ذلك من خلال أسلوبه الساخر ورسائله المضمرة.

– يجمع العنوان بين متناقضين السادة الأنذال فهذا التقاطع يشير إلى الانحطاط الأخلاقي والنفاق. اذ يعكس الحالة التي يعيشها مجتمع يحترم ويقدس القوة ولو كانت بلا فصيلة.

– يعتمد بوطاجين على خروج المعنى عن ظاهره، بحيث تصبح الرواية غنية بالدلالات الإيحائية تتجاوز المباشر والمألوف، وهذا ما يستدعي من القارئ الغوص في أفق التأويل، فكتابة بوطاجين ليست سرد الأحداث فقط بل تتعدى ذلك.

– في السادة الأنذال يتحول خرق مبادئ غرايس إلى استراتيجية فنية مقصودة، تخرج فيها الرواية عن المألوف التداولي. فالراوي لا يكتفي بانتهاك القواعد التداولية فقط، بل يوظفه لزعزعة توقعات القارئ وتوسيع أفق تأويله، بغرض الكشف عن هشاشة السلطة في " السادة" الذين يفترض فيهم القيادة الأخلاقية ينقلبون في الرواية إلى "أندال" تحكمهم الأنانية ويسيطر عليهم النفاق وتغريهم الملذات والمصالح، فهذا الخرق يمنح النص أبعادا تأويلية عميقة تحفز القارئ على الكشف عن معانيه المتعددة.

الملاحـق

غلاف رواية السادة الأنذال للسعيد بوطاجين.

فهرس المصادر والمراجع

باللغة العربية:

1. استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري مكتبة دار المكاتب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، (ط1)، الربيع، 2004.

2. الاستلزام التخاطبي عند بول غرايس " المفهوم والمقومات"، سمية عامر، مجلة قارئ للدراسات الأدبية واللغوية ،مجلد:2، عدد:3، 2019.

3. الاستلزام الحواري وديناميكية "التخاطب في مفهوم جرايس"، عبد القادر البار، مجلة – مقاليد، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ع14، جوان2018.

4. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (بلا. ط) 2002.

5. تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، تح: علي سيدي المجلد 17 المادة (لزم)، دار الفكر، (بلا، ط)، 1994،

6. تاج اللغة وصحاح العربية، ابي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري مادة(لزم)دار الحديث، القاهرة (بلا، ط)، 1430، 2009 م.

7. تبسيط التداولية: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة (ط1) ،2010.

8. تجديد المنهج في تقويم التراث ،طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء ،المغرب ،ط2، 2015.

9. التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 2016، 1437هـ.

10. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، تر: سيف الدين دغفوس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

11. التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (ط1) تموز (يوليو). 2005.

12. التداولية من أوستين إلى غو فمان، فيليب بلانشيه تر: صابر الحباشة. دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية (ط1) ،2007.

13. الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، افريقيا، الشرق المغرب (بلا، ط) ،2004.

14. السادة الأنذال، السعيد بوطاجين، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، جيجل الجزائر، (بلا، ط) ،2024.

15. ظاهرة الاستلزام التخاطبي في التراث اللساني العربي، ليلى كادة، المجلد:01، العدد:01، 2009.03.01.

16. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، دار البيضاء، فريقيا شرق، المغرب ، (بلا، ط)،2006.

17. في مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي ،أنمار إبراهيم أحمد، مجلة ديالي، العدد: الحادي والسبعون،2016.

18. قراءة موجزة في رواية السادة الأنذال للسعيد بوطاجين، حسين عبروس https://tieob.com 15/05/2025 04: 17

19. القصدية التواصلية في النص الساخر وترجمتها إلى اللغة . الإسبانية ، زهية بوكان ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة أبو قاسم سعد اله الجزائر 2 ، معهد الترجمة 2019/ 2020.

20. قواعد مبدأ التعاون التخاطبي عند "جرايس" بين الالتزام والاختراق، فتيحة بن زرام ويوسف بن زحاف، مجلة لغة الكلام /مكتب اللغة والتواصل /المركز الجامعي –غليزان (الجزائر)،المجلد06، العدد 03، 2020.

21. قوانين الخطاب من بول غرايس إلى طه عبد الرحمن – دراسة نقدية، عمر بوقمرة، مجلة أمارات في اللغة والادب والنقد، مجلد: 05،العدد:02، 2021.

22. لسان العرب، ابن منظور، عبد الله علي الكبير وآخرون، وآخرون مادة(لزم)، دار المعارف: كورنيش النيل، القاهرة (بلا، ط)، 1119.

23. اللسان والميزان او التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، دار البيضاء، بيروت، (ط1) 1998،.

24. محاضرات في فلسفة اللغة، عادل فاخوري: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1 ،2013.

25. المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية. ظاهرة الاستلزام التخاطبي انموذجا، ليلى كادة، أطروحة دكتوراه مخطوطة، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، كلية الآداب واللغات2012.

26. المنطق التداولي عند طه عبد الرحمن وتطبيقاته، آمنة بعلى، مجلة اللغة والأدب، المجلد 11. العدد :1،01،01،2006.

27. النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين ، إيمان طبشي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة ، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة.

28. النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، صلاح إسماعيل، مجلس النشر العلمي، الكويت،(بلا، ط)،1426هـ،2005م.

29. نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، دار قباء الحديثة، القاهرة، (بلا، ط)/2007.

30. نظرية غرايس الحوارية عرض ونقد، العياشي أدراوي، مجلة الاستغراب، عدد 36 ،حريف1446/ 2024.

باللغة الأجنبية:

1. hacentilanichaine. 10.05.2025. 13:33.

2. principles of pragmaties, Geoffrey leech,longman,london, 1983.

3. studies in The way of words, Paul Grice les développements du pragmatique in langage, Frangais, 1979.

4. the logique of politnes or Minding your Ps and O"S, Robin LA koff, in, papers from the minth regional meeting chicago linguistic society, 1973.

5. Web Tv Fll. bouira. 10/05/2025- 14:30.

الفهـارس

فهرس المخططات:

رقم	المخطط	الصفحة
01	الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية.	17
02	قواعد التخاطب المتفرعة عن مبدأ التأدب.	38
03	القواعد المتفرعة على مبدأ التأدب.	48
04	قواعد المتفرعة عن مبدأ التصديق في جانبه التهذيب	54

فهرس المحتويات:

المحتـــــــوى	الصفحة
مقدمة	أ–د
الفصل الأول: الاستلزام التخاطبي عند "بول غرايس"	
توطئة	8-7
المبحث الأول: ماهية الاستلزام التخاطبي	

أولا: الاستلزام التخاطبي في العرفين اللغوي والاصلاحي	14-9
ثانيا: طبيعة الاستلزام التخاطبي	17-14
ثالثا: خصائص الاستلزام التخاطبي	22-17
المبحث الثاني: قوانين المحادثة عند "بول غرايس"	
أولا: مبدأ التعاون	31-22
ثانيا: النقد الموجه للمبدأ التعاون	36-31
ثالثا: المبادئ المكملة والمتفرعة عن مبدأ التعاون	55-37
1. مبدأ التأدب	40-37
2. مبدأ التواجه واعتبار العمل	46-40
3. مبدأ التأدب الأقصى واعتبار التقرب	51-46
4. مبدأ التصدق واعتبار الصدق والإخلاص	55-51
الفصل الثاني: آليات الاستلزام التخاطبي في رواية السادة الانذال	
توطئة	58
المبحث الأول: السعيد بوطاجين سيرة مؤلِف وماهية مؤلَف	
أولا: سيرة مؤلِف	62-59
ثانيا ماهية مؤلَف	64-62
المبحث الثاني: الخروج عن قوانين الخطاب في الرواية	

أولا: الخروج عن قاعدة الكم	73-65
ثانيا: الخروج عن قاعدة الكيف	80-73
ثالثا: الخروج عن قاعدة الملاءمة	88-81
رابعا: الخروج عن قاعدة الجهة	95-89
الخاتمة	100-98
الملاحق	102
فهرس المصادر والمراجع	108-104
فهرس المخططات	110
فهرس المحتويات	112-110

ملـخـص:

يسعى هذا العمل البحثي لتتبع تمظهرات الاستلزام التخاطبي بوصفه مفهوماً تداولياً فاعلا في بناء المعنى من خلال تحليل رواية السادة الأنذال للسعيد بوطاجين، اعتماداً على مقاربة تداولية تهدف إلى تفكيك البنى التواصلية الكامنة في الخطاب السردي والمعاني الضمنية وغير المنطوقة، ولا ريب أن الكشف عن هذه المعاني يقتضي تفعيل آليات ذهنية تأويلية تقوم على تفكيك الخطاب في ضوء سياقة الاستعمالي حيث تتحدد دلالته الحقيقية.

الكلمات المفتاحية: التداولية، والاستلزام التخاطبي، ومبدأ التعاون, والمعنى الصريح، والمعنى المستلزم.

summary:

This research work seeks to trace the manifestations of communicative entailment as an effective communicative concept in constructing meaning through an analysis of the novel “The Scoundrel Gentlemen” by Said Boutadjine, relying on a communicative approach that aims to deconstruct the communicative structures inherent in the narrative discourse, which contribute to the implicit and unspoken meanings. There is no doubt that revealing these meanings requires activating interpretive mental mechanisms based on deconstructing the discourse In light of the context of usage, its true meaning is determined.

Keywords: Pragmatics, conversational entailment, cooperation principle, explicit meaning, entailed meaning.